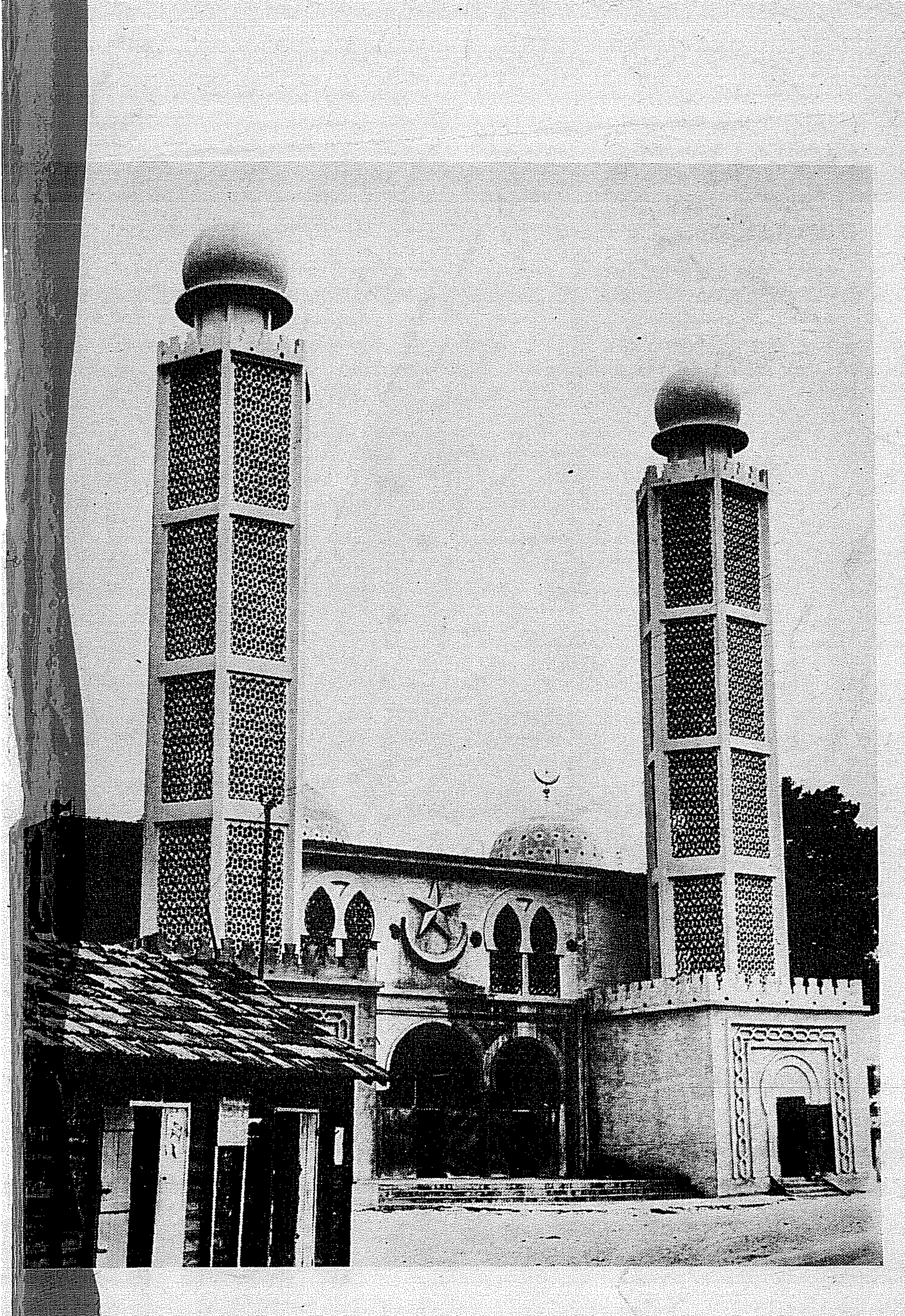
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة ـ العدد ٦٨ ـ شعبان ١٣٩٠هـ ـ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠م





المركز الاسلامي بمدينة (تيوافون) بالسنغال ويتكــون من مسجــد كبير ومدرسة وقاعــة للاجتماعات وقد بناه الشيخ احمد التجاني سي على نفقتــه الخاصة .



مسجد السلطان احمد الذى يسمى بالجامع الأزرق بسبب الفسيفساء الزرقاء التى تزين جدرانه ويبلغ ارتفاع قبته ١٩٠ قدما ويعتبر من أجمل مساجد مدينة استانبول استمر بناؤه على يد المهندس محمد آغا من سنة ١٦٠٩ الى ١٦١٦ وتحيط به حديقة خضراء واسعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الثامن والستون

شعبان ١٣٩٠ هـ

اكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيات فقط

فى الكويت ١ دينار

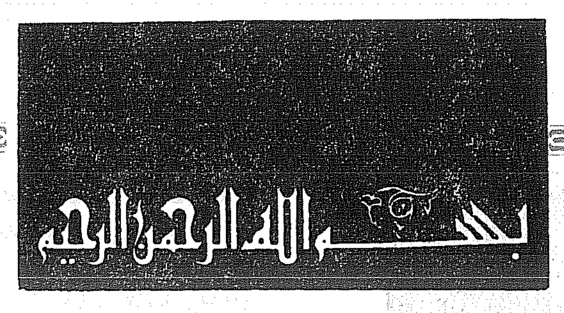
فى الخارج ٢ ديناران

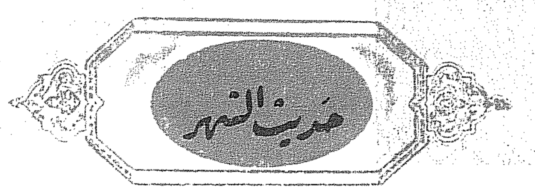
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت





الدعوة والدعاة

تسير الدول المتقدمة اليوم فى سياستها الحضارية والعمرانية على منهج التخطيط والتنسيق ، وكان لهذا المنهج أثره البعيد فيما أنجزته من أعمال ضخام ، وما حققته من آمال كبار ما كانت تنجز وتتحقق بهذه الصورة لو أن الأمور فيها سارت مسيرة الفوضى والارتجال ، فدراسة المشروعات الكبرى فى كل قطاع من قطاعات الدولة ، وتنفيذها وفق خطة مدروسة فى زمن معين — ثمرة من ثمرات التقدم الحضارى الذى يتميز به العصر الذى نعيش فيه .

والتخطيط عملية شاقة يحشد لها الخبراء وكبار العلماء الذين يدرسون احتياجات الدولة فى مدى عشر سنوات أو خمس فى المجالات المختلفة كالتعليم والصحة والزراعة والصناعة ، وعلى ضوء من هذه الدراسات يضعون المشروعات التى تفى بهذه الحاجات فى حدود الامكانيات المادية المتاحة التى تضمن تنفيذها جنبا الى جنب حتى لا يطغى مشروع فى قطاع على حساب مشروع فى قطاع آخر .. وبهذا التخطيط يتم التوازن والتنسيق بين حاجات الامة وبين امكانياتها ، ويتحقق التطور والتقدم الحضارى المنشود .

والتقدير والحسبان سنة من سنن الخلق والابداع الالهى ، وعلى هذه السنة المحكمة أقام الخالق المبدع — سبحانه — نظام الوجود كله ، ولولاها لدكت قواعده ، وأنهارت عمده ، وأختل نظامه ، وتوقفت مسيرة الحياة فيه .

والقرآن الكريم يشير فى كثير من آياته الى هذا السنن الكونى ، والى أن الكائنات كلها تخضع لحكمه ، وتسير وفق نظامه ، وأنه ينطبق على الكواكب والليل والنهار ، كما ينطبق على الأمطار والنباتات ، وأنه لا يشذ مخلوق كائنا ما كان عن هذه

القاعدة المضطردة : ((وخلق كل شيء فقدره تقديرا)) .

والمتتبع لآيات الكتاب العزيز يرى أن المبدع المستغني عن المشير والوزير جل علاه — يلفت الانظار والعقول الى ان مسلك القدر الأعلى جرى في ايجاد كل شيء وفقا لنظام محكم سبق في الأزل قبل تنفيذه وايجاده : ((وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)) .

والشمس والقمر انما يتحركان بحساب بالغ الدقة ، والليل والنهار انما يتعاقبان على خطة رتيبة . لا يتقدمان ، ولا يتأخران ((الشمس والقمر بحسبان)) — ((والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)) والماء الذي هو أصل الحياة ينزل بقدر معلوم ((وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض)) والنباتات المختلفة تنبت وتتنوع بالقدر الذي تحتاج اليه الحياة على وجه الأرض ((وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها أقواتها)) — ((والارض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون)) .

وهل تأويل يوسف — عليه الصلاة والسلام — رؤيا الملك الا خطة (سبعية) وضعها الصديق عن علم لمواجهة الأخطار التي تحيط بالشعب في سني القحط والمجاعة : ((وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)) .

وقال يوسف في تعبيرها : تستقبلون سبع سنوات مخصبة تزدهر فيها حقولكم ، وتكثر غلاتكم ، ثم تأتي في أعقابها سبع شداد يسود فيها وجه الارض ، وتمسك فيها السماء ، فلا ماء ينزل ، ولا نبات ينبت ، فما حصدتم في سنوات الرخاء اخزنوه في أهرائكم ومخازنكم محفوظا في سنبله حتى لا تفسده الآفات وذلك ليسد حاجتكم في السبع الشداد والسنين العجاف : ((تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)) وقد نفذت الخطة باحكام ، فوقت الأمة ويلات الجدب والقحط .

والتخطيط والتنسيق كما يلزم ، وينفع فيما يصلح الناس في شئون معاشهم ودنياهم .. في تخطيط المدن وتعبيد الطرق ، وانشاء المصانع واصلاح الاراضي وشق الترع وحفر المصارف وادارة الآلات . كذلك لا بد من التخطيط فيما يكون به الانسان انسانا في تكوين عقيدته ، في تهذيب خلقه . في تقويم سلوكه . في تغذية مشاعره وتنمية وجدانه . في التسامي بغرائزه . في هدايته وتبصيره الصراط المستقيم .

وبهذا جرت السنة الالهية الحكيمة فان الله سبحانه كما قدر أرزاق العباد ، ودبر أقواتهم ، وسخر لهم ما في السموات وما في الارض للوفاء بحاجاتهم — تعهدهم كذلك بالوحي ينبههم الى ما غفلوا عنه ، ويحذرهم مما انخدعوا به ، ويذكرهم بالله ، وابتعث فيهم النبيين والمرسلين يحدونهم الى طريق الحق ، ويعرفونهم

الفضائل ، ويشرحون لهم ما أمر الله به ، وما نهى عنه .

وكان ابتعاث المرسلين فى فترات متقطعة ، يرتفع فيها صوت النبوة كلما مست حاجة البشرية الى بشير ونذير ، واذا كانت حالة الامة تستدعى أكثر من رسول فى زمن واحد ومكان واحد ، كما حدث فى بنى اسرائيل أرسل الله عددا من المرسلين يفى بحاجة الامة ويتعاونون على اصلاح أمرها .

وظلت هذه السنة الالهية فى التعريف بالله قائمة على تعهد الامم والشعوب بحملة الوحى الاطهار فى فترات متقاربة أو متباعدة من الزمان حتى ألقيت مقاليد الوحى كلها فى يد محمد رسول الله خاتم النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

وكانت مناهج الوحى الى المرسلين مناهج واضحة مفهومة كاملة بالقدر الذى تحتاج اليه أممهم ، ويفى بعلاج أدوائها وعللها ، فما أرسل الله من رسول الا بلسان قومه وما أنزل من كتاب الا كان مفصلا يكشف معالم الطريق أمام الناس ، وكان جهد المرسلين علاج الخلل فى السلوك الانسانى ومداواة العلل التى تشيع فى الامة وتنذرها بسوء المصير .

ان الدعوة الى الله عمل ضخم يتطلب كفايات مؤمنة متميزة . اذ الدعوة هى بناء الانسان بناء روحه وقلبه ومعنوياته . بناء فكره ومشاعره ووجدانه ، وليس هناك أصعب مراسا من الانسان ، فهو كثير اللدد ـ والخصومة . عصى لا ينقاد الا لهواه ولا يستسلم الا لشهواته ومن أجل هذا كانت مهمة الداعية من أشق المهام وأصعبها ، وخاصة فى هذا العصر الذى فسد فيه التصور والتفكير ، واختلت فيه المقاييس والموازين حتى أصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا والحسن قبيحا والقبيح حسنا ، وأى فساد وخلل أكثر من أن يستسيغ عقل وتفكير رواد هذه الحضارة المادية الشامخة أمورا تعافها الحيوانات . ان الشذوذ الجنسى الآن يمارس فى ظل قانون وضعه أصحاب العقول الجبارة .

ان المخادعة والمخادنة فى ظل الأعراف الحضارية المتقدمة شيء لا معرة فيه . انه لا يقدر على نقل أقدام الغارقين فى الوحل الى أذقانهم الى الطريق السوى .. الا الاشداء الأقوياء أولو العقيدة والقلب الحى .

ان الاسلام يتعرض فى هذا العصر لغزو عقائدى مدمر . وضع مخططه فى دقة وأحكام وخبث ودهاء وظهرت آثاره فى العقل المسلم والمظهر المسلم ، فهل نشط المسلمون لحماية عقولهم ومجتمعهم والوقوف فى وجه هذا الغزو المنظم بمخطط مماثل يدفع المسلمين الى الاستمساك بدينهم والاعتصام بكتابهم ، والاعتزاز بشريعتهم والحفاظ على أخلاقهم ؟

ان الدول الاسلامية الكبرى فى هذا العصر تتدارك فى مجال الحضارة المادية ما فاتها فى عصور التخلف ، وتحشد كل قواها وامكانياتها للعمران والتشييد وفق مخطط زمنى محدد ، فالمدن والجسور والقصور والمنشآت فيها صورة طبق الاصل لما فى العالم الغربى المتقدم ، فهل وجد الجانب الروحى فى هذه الدول ما وجده الجانب المادى من التخطيط والعناية حتى يتم بناء الامة على قواعد

الاسلام ومبادىء الدين ، أم أن شئون الدعوة الى الله تتبع سياسة الفوضى والارتجال ، وتتحكم فيها الأهــواء والرغبات ، وينظر اليها نظرة ثانوية لا تستحق الاهتمام والتفكير .

ان حصوننا مهددة من الداخل ، وأن ميدان الدعوة الى الله يقف فيه كثير ممن لا يحسنون القيادة والتوجيه ... ان نفرا من المسلمين أقحمـوا أنفسهم فى هذا الميـدان مدفوعين بفيض من الحماس والغيرة عـلى محارم الله مع الجهل الفاضح بالكتاب والسنة وفقـه الشريعـة وعـدم القدرة على مخاطبـة الجماهير .. فمنهم من لا يفرق بين الآية والحديث والمثل والحكمة ، ومنهم من لا يميز بين ما صح من الحديث وما لم يصح منه ، ومنهم من يتصدى للفتوى وهو لا يحسن الوضوء ، ومنهم من يتسلط على عقول العامة ، ويستولى عـلى عواطفهم بما يحدثهم به من خرافات وأساطير بعيـدة كـل البعـد عن الصحة والعقل والمنطق والصدق ، وكثير منهم من يعتلى المنابـر فى البوادى والريف ليسمع الناس هجر القول وفاحش السباب . يكـفر ويفسق ويدخل الجنة ، ويؤجج النيران على حسب هـواه وجهلـه .. وقد تعود المستمعون لهـذا الصنف من الناس على الخطب الحاميـة والمواعظ الكاوية ، وأصبح لا يقنعهم، ولا يؤثر فيهم الا هذا اللون من الكلام،

وخطر هؤلاء المتحدثين الجهلـة اذا قيس بخطر المؤلفين الجهلـة كان أهون وأخف فان الحديث يتبخر مع الهواء ، ولا يستقر منه فى أوعية النفوس الا القليل .. أما الكتـاب المحشو بالكذب على الله ورسولـه والمملوء بمن سار على الماء ومن طار نعشه ، ومن تزوج بالجن ، أما هذه الكتب فان الاجيال تتناقلها وتتأثر بها ، ومن العسير أن تقنع الأمى الدينى بكذب ما جاء فيهـا لأنها فى نظره مطبوعة ومتداولة ، ومضى على طبعها وتداولها كـذا من السنين وقرأهـا العديد من الناس ، وما فيها منسوب كذبا الى الامام الغزالى والى أبى يزيد البسطامى والقطب الشعرانى والامام الخواص ، ويعلم اللـه أن هؤلاء الصالحين برءاء الى الله مما زور عليهم ونسب اليهم ... ولا يوجد قانون يحمى عقول البسطاء والسذج ويمنع تداول هـذه الكتب بين الناس بل ان المطبـوع منها من مئـات السنين يعاد طبعه على نفقـة بعض المحسنين المغرر بهم من أهـل الخير والبر .

يجب على المسئولين والمشتغلين بالدعوة الاسلامية أن يأخذوا الأمـر مأخذ الجد ، وأن يبصروا من بعيـد الخطر الزاحف الـذى ظهرت طلائعه بيننا .. ويجب أن يفهم أن الخطـر أسرع وأعقد من أن يعالج بمقال ينشر أو حديث يذاع ، أو قرارات وتوصيات تتخذ ، ثم لا تنفـذ .

ان الناس لا يستغنون عن هداية الله كما لا يستغنون عن رزقـه ، ومهما أوتوا من علم فلن يستطيعوا ان يدبروا شئونهم بعيدا عن وحى الله ((وان هذا صراطى مستقيمـا فاتبعـوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكـم تتقون)) .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

[signature]

من هدي السنة

السنة والبدعة

(قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :
من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه .

(١)

١ ــ تعريف السنة والبدعة والفرق بينهما
٢ ــ تدوين السنة وعلومها
٣ ــ أدب السنة والحديث

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ التعريف

ورد لفظ « السنة » فى اللغة العربية بمعنى الطريقة مطلقا مرضية كانت او غير مرضية .

وعند علماء الأصول هى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريراته (١) .

وعند علماء الفقه هى المطلوب طلبا غير جازم ، أى ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

وعند علماء الحديث هى كل ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وتعرف فى الشرع تعريفا عامـا بمعنى ما يقابل « البدعة » فيقال ، هى الطريق المسلوكة فى الدين ، بأن سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه

---

(١) معنى تقرير الرسول (صلى الله عليه وسلم) لصحابته هو أن يرى أو يعلم بعض افعالهم فيقرهم عليها ولا ينهاهم عنها .

الراشدون والسلف الصالح من بعدهم ، وبهذا المعنى تشمل الواجب والمندوب والمباح سواء كانت من قبيل الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات .

وأما البدعة فهى (فى الاطلاق اللغوى العام) ـ كما قال الشاطبى فى الاعتصام أصل مادة « بدع » للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى (بديع السموات والأرض) أى مخترعهما على غير مثال سابق ، وقوله سبحانه (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد ، بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعنى ابتدأ طريقة لم يسبقه أليها سابق ، فاستخراج البدعة للسلوك عليها هو الابتداع ، وهيئتها هى (البدعة) .

والبدعة والأبتداع من الأمور التى ينشأ عنها تطور الوجود فى كل شىء فالبقاء على حال مستقرة محال ، وهى فى المجال العام لازمة للحياة الأفضل دائما كتطور الصناعات ، وتعدد المخترعات فى كل وسائل الحياة الانسانية ، وما الحضارة التى نرى الا نتيجة للابتداع والاختراع المتكرر ، وهذا عمل يحث عليه الاسلام لانه يحمل على الأخذ بالافضل دائما فى كل الأمور .

وأما البدعة التى حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيها يوما « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » فالمقصود منها اختراع شىء فى أصول الدين لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الأصول الدينية قد تكاملت وتركها رسول الله على المحجة البيضاء غير قابلة للنقص ولا الزيادة ، قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

ولهذا عرفوا البدعة شرعا

بأنها طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ...

وينسب الى الامام مالك وأصحابه ، وجرى عليه الشاطبى فى الاعتصام تعريف البدعة بأنها ما أحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم على أنه دين وشرع ، بأن يجعل من الدين ما ليس منه ، بناء على تأويل أو شبهة غير معتد بها .

فالمبتدع متبع هواه ، ولا تكون البدعة على هذا التفسير الا مذمومة .

فالخلاصة أن الكلام فى الدين وأصوله يقبل فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترفض البدعة فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

٢ ـ تدوين السنة وعلومها

أ ـ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ب ـــ فى عهد الصحابة .
ج ـــ فى عهد التابعين .
د ـــ فى العصور التى تلت .

أ ـــ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

يجمع الباحثون فى هذا الموضوع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى صحابته عن كتابة الأحاديث ، ثم عاد فأجازها ، **وتفصيل ذلك** أنه لما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول فى الاسلام للعقيدة والتشريع ، أولاه الرسول عليه الصلاة والسلام كل عنايته ، ووجه اليه اهتمام صحابته ، فحفظوه فى صدورهم وقيدوه كتابة فى الرقاع المتخذة من الجلود ، والسعف ، وعلى الحجارة ، والعظام ولم يدعوا فرصة تمر دون أن يسألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عما خفى عليهم من أحكامه وتشريعاته ، فعرفوه وفقهوه وحفظوه جملة وتفصيلا ، ونظرا للاهمية البالغة التى توجب الحفاظ على آى القرآن نقية بعيدة عن شبهة الاختلاط بكلام آخر ولو كان كلام الرسول نفسه ، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته عن تدوين الأحاديث كتابة ، وأمرهم بالاقتصار على كتابة القرآن وحده ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الأمام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى « لاتكتبوا عنى غير القرآن ، ومن كتب شيئا فليمحه » ... ولم يكن هذا النهى مانعا لبعض الصحابة الذين يجيدون الكتابة أن يتخذوا لأنفسهم صحفا خاصة يسجلون فيها ما يسمعون من الرسول عليه السلام ، وقد حدث هذا فعلا فاتخذ عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة كانت تسمى « الصادقة » لدقة ما ورد فيها ، وقد أخرج الامام أحمد ، والبيهقى فى المدخل عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال « ما كان أحد اعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فقد كان يكتب ولا اكتب » ... وكتابة عمرو استرعت أنظار بعض الصحابة الذين قالوا له « انك تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يقول ، ورسول الله قد يغضب ، فيقول ما لا يتخذ شرعا عاما » فرجع ابن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له « اكتب عنى فوالذى نفسى بيده ما خرج من فمى الا حق » (١) ومعنى اذنه عليه الصلاة والسلام لابن عمرو بالكتابة أنه نسخ نهيه الأول عنها لزوال المانع ، وقال العلماء فى هذا (أن النهى خاص بمن لا يؤمن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة ، أما الاذن فهو خاص بمن أمن عليه ذلك) (٢) ووجدت صحائف أخرى لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم مثل سعد بن عبادة الأنصارى وعبد الله بن أبى أوفى وسمرة بن جندب ، وجابر بن عبد الله ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس .. الخ .

٢ ـــ عهد الخلفاء الراشدين

ولما ولى أبو بكر رضى الله عنه أمر المسلمين بعد وفاة النبى صلى الله عليه

---

(١) ابن عبد البر جامع بيان العلم ٧٦/١ .
(٢) الدكتور السباعى السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى /٩ .

وسلم تشدد كثيرا فى الرواية وتورع عن الكتابة ، ويذكر مؤلف (تذكرة الحفاظ (١) أنه أى أبا بكر جمع الأحاديث المكتوبة وأحرقها ، ولما جاء بعده عمر رضى الله عنه مال الى أن يكتب الحديث ، ولكن غلب عليه الخوف من اختلاطه بالقرآن ، أو انصراف المسلمين عن القرآن الى حفظ الأحاديث المكتوبة فعدل عن الأمر بالكتابة وقال (انى كنت ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فاذا اناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وأنى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا) وقال الخطيب البغدادى (أن سبب كراهة من كره الكتابة من الصدر الاول انما هو الخشية من أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره أو يشتغل عنه بسواه) .

٣ ــ عهد التابعين

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر فى خطبه دائما وخاصة فى حجة الوداع قوله (الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) تفانى الصحابة فى نشر وصاياه واوامره وتشريعاته بين الناس ، وظل كبار التابعين ممتنعين عن الكتابة والتقييد ، ولكن فى أوائل المائة الثانية من الهجرة الشريفة بدأ البعض يميل الى التدوين خوفا من ضياع السنة بموت حملتها ، ففى سنة ١٠١ هـ أصدر عمر بن عبد العزيز أمرا بتدوين الحديث مستندا الى آراء كبار علماء الشريعة فى عهده الذين ايدوا هذا الأمر ونفذوه عمليا ، وفى طبقات أبن سعد (أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله على المدينة أبى بكر بن محمد بن عمر بن حزم ما نصه « أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ما ضية ، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية (٢) فاكتبه فانى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله » وكان عمر قد كتب الى الأمصار بمثل ما كتب به ألى أبن حزم ، (وكان أول من استجاب له فى حياته وحقق له غايته عالم الحجاز والشام محمد ابن مسلم بن شهاب الزهرى المدنى المتوفى سنة ١٢٤ هـ الذى دون له كتابا فغدا عمر يبعث الى كل أرض دفترا من دفاتره ، وكان الزهرى يفخر قائلا « لم يدون هذا العلم أحد قبلى » (٣) ويبدو أن الداعى الأقوى الى التدوين فى هذا العصر هو انتشار وضاعى الحديث ، والقصاص الذين كانوا يعظون الناس ويخوفونهم بأحاديث غير صحيحة النسبة ألى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد خشى العلماء على أحاديث الرسول أن تختلط بغيرها من المفتريات وصار من الضرورى لديهم أن يكتب الحديث الصحيح وبدأ التدوين فى تلك الحقبة مخلوطا بفتاوى الصحابة والتابعين كما ورد فى موطأ الامام مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ .

٤ ــ وعلى رأس المائتين بدأ تدوين المسانيد خالية من الفتاوى (واول من كتب مسندا خاليا من الفتاوى هو ابو داود الطيالسى ٢١٤ هـ ، ومن أرقى المسانيد

---

(١) نقل هذا النص الدكتور صبحى صالح عن جامع بيان العلم وطبقات ابن سعد .

(٢) امرأة من الانصار اشتهرت بالتحديث .

(٣) الدكتور صبحى الصالح فى علوم الحديث ص ٤٦ .

مسند الأمام احمد بن حنبل ٢٤١ هـ ، ولم تدون السنة الصحيحة وحدها مرتبة على أبواب ألا فى عصر أتباع التابعين ممن عاصروا البخـــارى ، وأما من جاء بعدهم من المتأخرين عن هذا العصر فغالب ما قـــاموا به هو التهذيب والشرح وأختصار الكتب الصحيحة المشهورة) (١) .

علوم السنة

١ ــ أنتشار الأحاديث الدخيلة (الموضوعة) وأسبابه
٢ ــ عناية المسلمين بأمر السنة
٣ ــ ظهور علم الحديث رواية ، ودراية (مصطلح الحديث)

---

١ ــ أسباب أنتشار الأحاديث الموضوعة

منذ مقتل عثمان رضى الله عنه لم يجمع المسلمون على خليفة له ، ونشب نزاع شديد بين على ومعاوية تطور الى قتال سالت فيه دماء المسلمين الذكية بغزارة ، وصار لكل منهما مناصرون ، وتفرق المسلمون شيعا واحزابا ، وبذل كل فريق ما استطاع لنصرة من يواليه ، وبدأوا يخترعون أقوالا ينسبونها ألى رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤيد فى نظرهم ما يرومون ، وكان هذا ايذانا بالتزيد على رسول الله ونسـبة ما لم يقله وما لم يفعله أليه صــلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ أن الحقبة التى عاش فيها كبار الصحابة كابن عمر وابن عباس لم يتغشاهاالفساد بالصورةالتى انتشر بها بعدهم لأن هؤلاءالاصحاب كانوا يقفون بالمرصاد لكل من يتزيد فى فعل أو قول ، فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول فى الحجاج بن يوسف (... عدو الله ، استحل حرم الله ، وخرب بيت الله ، وقتل أولياءه) ويجابهه حين وقف يخطب ضد عبد الله بن الزبير ويصفه بأنه بدل كلام الله ، فيقول له (كذبت لم يكن ابن الزبير يستطيع أن يبدل كـلام الله ولا أنت ، فأجاب الحجاج أنت شـيخ خرف فرد ابن عمر أما أنك لو عدت لعدت) .

كما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل يتورعون عن القول دون علم أو سماع من رسول الله فقد أخرج البيهقى عن البراء قوله (ليس كلنا كان يسمع حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضياع واشغال ، ولكن الناس لم يكونوا يكذبون فيحدث الشـاهد الغائب ، كما كانوا يحاورون الناقل حتى يثقوا بصحة نقله ، فقد قال قتادة (ان أنسـا حدث بحيث فقال له رجل أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليـه وسلم ؟ قال نعم (أو حدثنى من لم يكذب) (٢) ، والله ما كنا ندرى ما الكذب) .

---

(١) الدكتور صبحى الصالح ص ٤٨ علوم الحديث .
(٢) شك من الراوى فى اللفظ .

وقبل أن تشتد الفتن فى بلاد المسلمين وتستشرى ، كان الناس يتقبلون الحديث دون مناقشة ، وخاصة اذا تكلم به صحابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استعر أوارها بدأ سامعو الحديث الشريف يشكون فى كل ما يسمعون ألا أذا استوثقوا من القائل ، وكان من الموثوق بهم فى قوة دينه وعدالته، وذكره الحسن بين الناس ، ومما يصور تلك الحالة ، ويعطى فكرة واضحة دقيقة عن هذا التحول العجيب والسريع فى الوقت نفسه ما رواه الامام مسلم فى صحيحه حيث يقول (حدثنا رباح عن قيس بن سعد عن مجاهد قال « جاء بشير (بالصغير) العدوى الى ابن عباس رضى الله عنهما فجعل يحدثه ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل أبن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر اليه ، فقال يا ابن عباس مالى لا أراك تسمع لحديثى ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ، فقال ابن عباس ، أنا كنا مرة اذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابتدرته ابصارنا ، واصغينا اليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس الا ما نعرف) .

وأهم الاسباب التى دعت الى أختلاف الأحاديث ونسبتها كذبا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (النزاعات السياسية والزندقة والعصبية والجهل بالدين مع الرغبة فى الخير والتقرب الى الملوك والأمراء والقصص والوعظ) .

٢ ــ عناية المسلمين بأمر السنة

ولما مضى هذا العصر ، ونمت الفتنة واستعرت نارها ، كثرت الاحاديث الموضوعة التى يناصر بها كل فريق فريقه ، واول بلد نشأ فيه تغيير الأحاديث هو العراق يقول الزهرى وهو أمام أئمة الحديث واول من جمعه ودونه (يخرج الحديث من عندنا شبرا فيرجع الينا من العراق ذراعا) وكان الأمام مالك يسمى العراق (دار الضرب) أى تضرب فيها الأحاديث وتخرج للناس .

كل ما مر حمل الغيورين على دينهم الذين وقفوا حياتهم على خدمته خالصا لوجه الله ، وفتح الله عليهم أبواب المعرفة ، وآتاهم القوة الروحية الخارقة فصبروا على تحمل المشاق ، وهاجروا طويلا فى سبيل جمع الأحاديث الصحيحة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وعملوا على تنقيتها من شوائب الوضع والوضاعيين ، ورسموا لعملهم خطة مدروسة متميزة ، نشأت عنها علوم الحديث التى أوصلها بعضهم الى اثنين وخمسين علما والبعض الى خمسة وستين علما ، ومن أهمها علمان رئيسيان هما علم السنة دراية ورواية .

(للحديث بقية)



الفواصل

للدكتور : علي محمد حسن

ويسميها أبو زكرياء الفراء العالم النحوى المشهور (الفصول) ، و (رءوس الآى) ، جاء عند نظره فى قول الله تعالى : (أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قوله : (وهذا فى القرآن كثير بغير الفاء ، وذلك لأنه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة عليه ، فيقال : ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال كذا وكذا ، فكان حسن السكوت يجوز به طرح الفاء ، وأنت تراه فى رءوس الآيات — لأنها فصول — حسنا) .

وبعد أن ذكر بعض آيات جاء فيها الجواب بغير الفاء ، وكلمات جاءت فيها الفاء ، وأخرى جاءت الواو قال : (فاعرف بما جرى تفسيره ما بقى ، فانه لا يأتى الا على الذى أنبأتك به من الفصول ، أو الكلام المكتفي يأتى له جواب) .

ونظن أن هذه الكلمة (الفصول) جاءت تسمية لرءوس الآى لأول مرة فى كلام الفراء ، وعلى وجه التأكيد لم أر فيما وقفت عليه من كتب أحدا استعملها قبل الفراء .

أما كلمة (الفواصل) فأول ما وقفت عليها فى رسالة (النكت) لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى ، فقد جعلها عنوان فصل من فصوله ، وعرفها وخصها بحديث لعله الأول من نوعه قال فى تعريفها : (الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن الافهام) ، وفرق بينها وبين الأسجاع ، فقال : (والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى ، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة ، فى الدلالة اذ كان الغرض الذى هو حكمة انما هو الابانة عن المعانى التى الحاجة اليها ماسة) .

قال : (وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليها فى أحسن صورة يدل بها عليها) .
ثم بين نوعى الفواصل فى القرآن الكريم ، فقال : (والفواصل على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة ، والآخر على الحروف المتقاربة) .
ومع أننى لم أقف على هذه الكلمة فى كتاب سابق على رسالة الرمانى أظن أن استعمالها سبق هذا التاريخ ، لأن حديث الرمانى عنها حديث من يتكلم على أمر معروف عند الناس وفى العادة يأتى التعريف والتقسيم وذكر الفائدة ، بعد أن تكون الكلمة قد شاع استعمالها .
وأيا ماكان فان مدى علمى الآن هو ان الفراء أول من استعمل فى رءوس الآى كلمة الفصول ، وأن الرمانى هو أول من استعمل كلمة (الفواصل) .
ثم جاء المتأخرون فكان أكثرهم على ما سار عليه الفراء والرمانى ، من أن الفواصل هى رءوس الآى ، وان لم يكن ذلك واضحا فى كلام الرمانى ، لكن تمثيله يفيد أنه يجعل الفواصل ورءوس الآى مترادفين ، وقليل من المتأخرين من جعل الفواصل أعم من رءوس الآى ، جاء فى كتاب (البرهان فى علوم القرآن) لبدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ما يأتى : (معرفة الفواصل ورءوس الآى . وهى كلمة آخر الآية كقافية الشعر ، وقرينة السجع ، وقال الدانى : كلمة آخر الجملة) .
قال : (وفرق الامام أبو عمرو الدانى بين الفواصل ورءوس الآى ، أما الفاصلة فهى الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأس آية ، وكذلك الفواصل بين رءوس آى وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية) .
ونلاحظ الفرق بين تعريف الرمانى للفواصل بأنها (حروف متشاكلة) وبين تعريف الزركشى للفاصلة بأنها (كلمة آخر الآية) ، غير أن تقسيمهم للفواصل ، وحديثهم عنها يرجح تعريف الزركشى ، فالفاصلة ليست الحرف الأخير المماثل أو المقارب للحرف الأخير فى الجملة السابقة ، وانما هى الكلمة التى تتفق أو تتقارب مع كلمة أخرى فى آخر جملة جاءت معها ، وتمثيله بقافية الشعر ، وقرينة السجع تأكيد لمراده ، وهى أن الفاصلة هى (الكلمة) .
ومثال الفاصلة التى ليست رأس آية قول الله تعالى من سورة الاعراف : « قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا » ومن شواهد ذلك أيضا قول الله تعالى : « ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم » وقوله سبحانه : « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » وقوله عز اسمه « أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله » وقوله على لسان سيدنا زكريا « رب انى ، وهن العظم منى » .
ويبدو أن العلماء أخذوا هذه التسمية « الفواصل » من قوله تعالى : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون) وقوله سبحانه : (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) .
وليس من اليسير حصر الطرق التى جاءت عليها الفواصل فى القرآن من حيث التزام حرف مماثل أو مقارب ، وانما يمكن فقط أن نعطى أمثلة .
فمن سور القرآن الكريم ما جاءت كلها على حرف واحد مثل سورة (القمر) فكل فواصلها على حرف الراء ، ومثل سورة (القدر) ففواصلها على

الراء كذلك ، ومثلهما سورة (الاخلاص) فهى على الدال ، وسورة (الناس) فهى على السين .

ومن سور القرآن ما يلتزم حرفا واحدا فى أكثر الفواصل ، ويخالف فى فواصل قليلة ، مثلا سورة الأعراف ، جاءت جمهرة فواصلها على حرف النون ، وآياتها مائتان وست ، والفواصل التى جاءت على غير النون نحو عشر آيات أكثرها على الميم ، وبعضها على اللام .

أما أكثر سور القرآن فمتعددة الفواصل ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

وقد لاحظ بعض الباحثين أن القرآن الكريم كان يلتزم الفواصل المتماثلة فى مواطن الوعظ والترهيب وأن هذا يغلب على السور المكية .

أما من حيث التزام حرف أو أكثر ، فقد لاحظ الباحثون أن التزام حرف واحد هو الكثير الغالب ، وقد يلتزم حرفان فى مثل قوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) ، وقد تجىء الفواصل على ثلاثة أحرف ، مثل قوله تعالى : (بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون) ، وقد تجىء على أربعة أحرف ، وهذا آخر ما انتهى اليه مجىء الفاصلة فى القرآن الكريم ، ومثال ذلك قوله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون) .

كما لاحظ الباحثون أن أكثر الفواصل فى القرآن تجىء على النون والميم وحروف المد واللين ، قالوا : وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك .

قال سيبويه رحمه الله : أما اذا ترنموا فانهم يلحقون الألف والواو والياء لأنهم أرادوا مد الصوت .

وتختلف الفواصل عن قوافى الشعر اختلافا كثيرا ، ولذلك فكثير مما يعد عيبا فى القوافى لا يعد عيبا فى الفواصل ، فمثلا يكره فى القوافى أن تتكرر الكلمة الواحدة فى القافية قبل سبعة أبيات ، ولكننا نجد فى الفواصل مثل قوله تعالى : (والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ، وكذلك نجد الفواصل تكون بحروف متقاربة بخلاف القوافى ، ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم : (ص . والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) . وقوله سبحانه : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) . وهكذا .

قال صاحب البرهان : (ومبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتوح بالمنصوب غير المنون ، ومنه قوله تعالى : (انا خلقناهم من طين لازب) مع تقدم قوله (عذاب واصب) و (شهاب ثاقب) .

● ●

وقد شغل العلماء من قديم بقضايا ثلاث تتعلق بالفواصل :

الأولى : هل يراعى القرآن الكريم المناسبة اللفظية فيغير وضع الجملة الطبيعى من أجل الفاصلة ؟

الثانية : هل يسمى ما ورد فى القرآن من الفواصل المتماثلة سجعا ؟

الثالثة : كل آية فى القرآن ختمت بما يناسب أولها ، وان غمض ذلك فى

بعض الآيات . وسنلم بهذه القضايا الثلاث لنوفى هذا البحث حقه من الدراسة .

● ●

القضية الأولى :

لعل أقدم ما وصلنا من بحث مفصل فى هذا الموضوع هو ما بسطه الفراء فى كتابه (معانى القرآن) ، وقد ألف هذا الكتاب فى شهور سنتى ٢٠٢ و ٢٠٣ هـ أى قبل وفاته بأربع سنوات .

ذهب الفراء الى أن القرآن الكريم قد يعنى بالمناسبة اللفظية الى حد أن يغير من طبيعة الجملة من أجل هذه المناسبة .

فالقرآن — مثلا — يثنى فى موضع الافراد فى قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قال : وانما هى جنة واحدة .

والقرآن يحذف المفعول للمناسبة بين رءوس الآى ، كما فى قوله تعالى : (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) .

والقرآن يورد الكلمة الواحدة بنطقين مختلفين من أجل المناسبة كما فى كلمة (نكر) فقد جاءت فى قوله تعالى : (فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) مخففة ، أى بسكون الكاف ، وجاءت فى قوله تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر) مثقلة اى محركة الكاف بالضمة . والتخفيف والتثقيل لغتان ، ولكن آثر القرآن التخفيف فى الآية الأولى لأن الفواصل التى معها كلها مخففة ، وذلك فى قوله تعالى : (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسريسرا وكأين منقريةعتت عنأمر ربهاورسله فحاسبناهاحساباشديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) ، فالفواصل كلها : يسرا — نكرا — خسرا — ذكرا — مخففة وهذا سر التخفيف فى كلمة نكرا.

وآثر القرآن التثقيل فى الآية الثانية لأن الفواصل كلها مثقلة ، وذلك فى قوله تعالى : (حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر) ، وهكذا جاءت كل الفواصل التى سبقت هذه الفاصلة ، والتى جاءت بعدها مثقلة (القمر — مستمر — مستقر — مزدجر — عسر — ازدجر — منهمر) الى آخر السورة .

ويرجح الفراء قراءة على قراءة خضوعا للمناسبة ، فقد روى قراءتين فى كلمة (ناخرة) من قوله تعالى : (أئذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة) روى عن ابن عباس أنه قرأ (ناخرة) ، وأن أهل المدينة والحسن قرأوا (نخرة) ثم قال — أعنى الفراء — : (وناخرة أجود الوجهين فى القراءة لأن الآيات بالالف ، ألا ترى أن (ناخرة) مع (الحافرة) و (الساهرة) أشبه بمجىء التنزيل والناخرة والنخرة سواء فى المعنى) .

بل ينفى عن الكلمة الاستقامة فى القراءة اذا لم توافق بقية الفواصل ، فهو ينظر فى قوله تعالى : (فمالهم لا يؤمنون واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون) ثم يقول : (وقوله : بما يوعون .. ما يجمعون فى صدورهم من التكذيب والاثم والوعى ، ولو قيل — والله أعلم — :

بما يعون — لكان صوابا ، ولكنه لا يستقيم فى القراءة) وقد ذكر الفراء شواهد أخرى من الآيات مؤكدا ان القرآن يراعى المناسبة اللفظية .

ثم جاء فيما بعد الشيخ شمس الدين بن الصائغ فألف كتابه (احكام الرأى فى أحكام الآى) وقال فيه انه تتبع الأحكام التى وقعت فى آخر الآى للمناسبة اللفظية فوقف منها على نيف وأربعين حكما ، وقد ذكرها الامام السيوطى فى كتابه (الاتقان فى علوم القرآن) ونذكر منها على سبيل المثال : تقديم الضمير على ما يفسره فى نحو قوله تعالى : (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) ، واجراء غير العاقل مجرى العاقل فى قوله تعالى : (انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) وقوله سبحانه : (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) والفواصل بعدها (المشحون — يركبون — ينقذون — حين — ترحمون) .

وممن وافقوا الفراء فى رأيه الامام العالم المفسر (ابن عطية) الأندلسى ، فقد قال فى قوله تعالى : (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) ان قوله (وأجل مسمى) معطوف على (كلمة) ولهذا رفع ، والمعنى : (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى التأخير (واجل مسمى) لكان العذاب لزاما . لكنه قدم وأخر لتشتبه رءوس الآى .

ومنهم (ابن سيده) العالم اللغوى الأندلسى صاحب (المحكم) و (المخصص) فقد قال فى قوله تعالى : (وما كنت متخذ المضلين عضدا) : أى أعضادا ، وانما أفرد ليعدل رءوس الآى بالافراد ، والعضد : المعين .

والآية من سورة الكهف ، والفواصل قبلها : (أحدا — بدلا) . ومنهم (امام الحرمين) فقد ذكر فى كتابه (البرهان) أن من ذلك صرف ما كان جمعا فى القرآن ليناسب رءوس الآى ، كقوله تعالى : (سلاسلا وأغلالا) .

وممن ناصروا الفراء الامام بدر الدين الزركشى ، فقد قال فى كتابه (البرهان) : (واعلم أن ايقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ، ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع) ثم ذكر اثنى عشر موضعا ، ونسب بعضها الى علماء سابقين . وقد جاء فى الموضع الثانى عشر قوله : (العدول عن صيغة المضى الى الاستقبال كقوله تعالى « ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » حيث لم يقل : (وفريقا قتلتم) كما سوى بينهما فى سورة الاحزاب ، فقال : « فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » ، وذلك لأجل أنها هنا رأس آية (1) .

قلت : والفواصل قبلها : (تعملون — ينصرون) وبعدها (يؤمنون) .

ومنهم العلامة أبو السعود العمادى صاحب التفسير المعروف بـ (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) فقد قال عند تفسيره لقول الله تعالى : (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) من سورة الانبياء ، قال : وتقديم الجار — أى من الساعة — لمراعاة الفواصل) . يريد أن نظم الكلام كان : وهم مشفقون من الساعة ، ولكن لما كانت الفواصل قبل هذه الآية وبعدها على (النون) مع الواو أو الياء ، تقدم الجار والمجرور مراعاة للفواصل .

ولم تمض نظرية الفراء ومن ناصره دون معارضة ومعارضة عنيفة من القدامى والمحدثين .

---

(1) أوفى ما كتب عن الفواصل — فيما وقفت عليه — هو ما جاء فى كتاب (البرهان) للزركشى ، وعنه أخذ السيوطى أكثر ما كتبه عنها فى (الاتقان) .

ولعل (ابن قتيبة) أول عالم أنكر على الفراء مذهبه ، وشدد عليه النكير ، فقد اعتبر صنيع الفراء (تعسفا) استعاذ بالله منه ، وذلك حيث يقول : (ونحن نعوذ بالله أن نتعسف هذا التعسف ، أو أن نجيز على الله الزيادة والنقصان في الكلام لرأس الآية) وحيث يقول : (انما يجوز فى رؤوس الآى زيادة هاء السكت أو الالف أو حذف همزة أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد جنتين فنجعلهما جنة واحدة من أجل رءوس الآى فمعاذ الله ، وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين ، قال : (ذواتا أفنان) ثم قال : (فيهما) ، (ولو أن قائلا قال فى خزنة الناس : انهم عشرون . وانما جعلهم تسعة عشر لرأس الآية ، ما كان هـذا القول الا كقول الفراء) .

قلت : وبصرف النظر عن تأييدنا أو معارضتنا لرأى الفراء نرى أن ردود ابن قتيبة وأدلته غير متجهة .

أولا : لا يلزم الفراء تنظيره بعدة الملائكة لأن الفراء يقول ان مجىء الاثنين مكان الواحد انماهو مذهب العرب فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها،كقول الشاعر

ديار لهـا بالرقمتين كأنهـا مراجيع وشم فى نواشر معصم

وكقول الآخر :

فقولا لأهل المكتين تحاشدوا وسيروا الى آطام يثرب والنخل

قال الفراء بعد أن أورد موضعى الشاهد من هذين البيتين : (وأشير بذلك الى نواحيها أو للاشعار بأن لها وجهين ، وانك اذا وصلتها ونظرت اليها يمينا وشمالا رأيت فى كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة ، وصدرك مسرة) .

ثانيا : أن التثنية فى قول الله تعالى (ذواتا أفنان) و (فيهما) لا تعكر على مذهب الفراء اذ له أن يقول أنها جاءت بحسب اللفظ .

قال صاحب (البرهان) : وكأن الملجىء للفراء الى ذلك قوله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وعكس ذلك قوله تعالى : (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) .

ولكنه عاد يحذو حذو ابن قتيبة ، ويرد قول الفراء ، فقال : على أن هذا (يريد ما جاء فى الآيتين السابقتين) قابل للتأويل ، فان الالف واللام للعموم خصوصا أنه يرد على الفراء قوله : (ذواتا أفنان) .

وقبل أن نترك الحديث مع ابن قتيبة أحب أن أقول انه لم يرفض مراعاة المناسبة اللفظية رفضا باتا بل أجازها ، ولكنه قصرها على زيادة هاء السكت أو حذف حرف مثلا ، ولعله يشير بذلك الى مثل ما جاء فى قوله تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر) فان قراءة حفص على حذف الياء من (يسرى) وظاهر أن سبب ذلك هو مراعاة الفواصل .

وجاء بعد ابن قتيبة أبو بكر الباقلانى العالم الاشـعرى صـاحب كتاب « اعجاز القرآن » وعرض فيما عرض له من أبحاث لقضية تغيير النظم من أجل مراعاة الفواصل ، فوافق ابن قتيبة فى رأيه ، ورفض نظرية الفراء رفضـا حاسما ، وان أجاز ذلك فى مواضع تجىء غير مقصودة ، قال عن الفراء وأمثاله (وأقوى ما يستدلون به : اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هرون عليهمـا السلام ، ولمكان السجع قيل فى موضع (هرون وموسى) ، ولمـا كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون ، قيل : (موسى وهرون) ويجيب الباقلانى عن (أقوى ما يستدلون به) فيقول : (وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هرون عليهما السلام فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع

الكلام فليس بصحيح لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه ، وهى أن اعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحـدا من الأمر الصعب الذى تظهر به الفصاحة ، وتتبين البلاغة) .

والحق أن رد البـاقلانى غير مقنع ، فالامر واضح ظـاهر فى مراعاة الفواصل فحين تكون على الالف يتـأخر ذكر موسى ، وحين تكون على الواو والنون يتأخر ذكر هرون ، وادعاؤه أن ذلك من تنويع التعبير لا ينهض مدافعا لـا هو الظاهر ، ويمكن أن يكون جوابا فى كل موضع لكنه جواب غير مقنع .

ويدعى الباقلانى أنه يستطيع أن يأتى على فصل فصل من أول القرآن الى آخره ، ويبين الموضع الذى يدعى فيه مراعاة المناسبة من الفوائد ما لا يخفى قال : (ولكنه خارج عن غرض كتابنا) .

ويا ليت الباقلانى فعل ، اذا لجاءنا بأسرار جمة لمجىء الفواصل التى ذكر الفراء ومن شايعه أن مجيئها للمناسبة اللفظية .

وقد نقل صاحب البرهان عن الزمخشرى أنه كذلك يرفض نظرية الفراء ، قال : (ذكر الزمخشرى فى كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعانى على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الالفـاظ المونقة فى السمع ، السلسـة على اللسان ، الا مع مجيئها منقادة للمعانى الصحيحة المنتظمة فاما أن تهمل المعانى ، ويهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه الى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة فى فتيل أو نقير) .

ومن المتأخرين الذين شددوا النكير على مجرد مراعاة المناسبة اللفظية الشيخ محمد عبده ، فقد وقف عند قوله تعالى : (وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) مبينا سر تقديم الرأفة على الرحمة ناعيا على من يقول : ان ذلك للفاصلة . قال صاحب المنار السيد رشيد رضا فى تفسيره : قال الجلال : والرأفة شدة الرحمة ، وقدم الابلغ للفاصلة ، وأنكر الاستاذ الامام هذا القول أشد الانكار ، وينكر مثله فى كل موضع ، فيقول : ان كل كلمة فى القرآن موضوعة موضعها اللائق بها ، فليس فيه كلمة تقدمت ولا كلمة تأخرت لأجل الفاصلة لأن القول برعاية الفواصل اثبات للضرورة .

.. وما قال بعض المفسرين مثل هذا القول الا لتـأثرهم بقوانين فنون البلاغة وغلبتها عليهم ، مع الغفلة فى هذه النقطة عن مكانة القرآن فى ذاته ، وعدم الالتفـات الى مالكل كلمـة فى مكانها من التأثير الخاص عنـد الذوق العربى .

ونظن أن الأستاذ الامام لم يهيأ له الاطلاع على كتاب (معانى القرآن) للفراء ، فانه يرجع القول برعاية الفواصل الى غلبة الفنون البلاغية على بعض المفسرين ، وقد أكد الفراء رأيه فى هذه القضية قبل أن تنشأ فنون البلاغة .

● ●

هذه صورة لما وقفت عليه من آراء القائلين برعاية الفواصل ، والمنكرين لها وأحب أن أقول :

أولا : ان القـائلين بمراعاة الفواصـل لم يمنعوا أن يلتمس فى بعض المواضع سر آخر للصنيع الذى جاء فى الآية . وقد نقل السيوطى عن ابن الصائغ صاحب كتاب « إحكام الرأى » قوله : لا يمتنع فى توجيه الخروج على الاصل

فى الآيات المذكورة ــ يريد الآيات التى لاحظ فيها مراعاة الفواصل ــ أمور أخرى مع وجه المناسبة ، فان القرآن العظيم ــ كما جاء فى الأثر ــ لا تنقضى عجائبه .

ثانيا : القرآن الكريم أنزل بلغة العرب ، وجرى على منهجهم فى بلاغتهم ، ومراعاة التناسب اللفظى مما يزداد به المعنى جمالا فليس يضير القرآن أن يكون راعى فى بعض آياته مجرد التناسق اللفظى ، ومما لا شك فيه أن مراعاة التناسب اللفظى ميزة من ميزات اللغة العربية ، ونحن نؤمن أن القرآن لم يترك ميزة تمتاز بها هذه اللغة الا أخذ منها بنصيب موفور .

ثالثا : اننا نجد القرآن الكريم يلتزم فى بعض السور وزنا خاصا للفواصل ، وربما طالت السورة كما هو الشأن فى الأعراف ــ مثلا ــ ولا يمكن أن يكون ذلك أمرا غير مقصود اليه .

رابعا : فارق كبير بين أن نقول ان هذا الوزن جاء للفاصلة ، وبين أن نقول ان الكلمة موضوعة فى غير موضعها ، فهذا قول لا يمكن أن يقال ، فالكلمة قارة فى موضعها ، ولها معناها الجميل اللائق بالجملة ، ولكن الأمر فى ايثارها دون غيرها مما يؤدى مؤداها فهذا قد يكون لمجرد التناسب .

خامسا : ثبت أن النبى صلى‌الله عليه وسلم ــ وهو أفصح العرب كان يراعى المناسبة اللفظية فيغير صيغة الكلمة ، من ذلك قوله وهو يعوذ الحسن : (أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة) وانما أراد (ملمة) لأنها من (ألم) ، وقوله عليه الصلاة والسلام للنساء اللاتى تبعن جنازة : (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وانما أراد (موزورات) لأنها من الوزر ، فقال (مأزورات) لمناسبة مأجورات ، قصدا للتوازن وصحة السجع .

سادسا : العرب أنفسهم يغيرون صيغة الكلمة مراعاة للتناسب ، من ذلك قولهم : ويل للخلى من الشجى بتشديد الياء فيهما ، وهى مشددة فى (الخلى) غير مشددة فى (الشجى) وانما شددوها مراعاة للتناسب .

ومن ذلك قولهم : (هنأنى الطعام ومرأنى) فقد حذفوا الهمزة من (أمرأنى) وهى الصيغة الصحيحة لهذا الفعل ليناسب (هنأنى) ، وكانوا اذا نطقوا بالكلمة مفردة قالوا (أمرأنى الطعام) . روى ذلك عن الفراء .

أقول ــ كما قال الفراء ــ اذا كان العرب يتصرفون فى الصيغة لمراعاة التناسب ، واذا كان الرسول الكريم ــ وهو أفصحهم ــ يفعل ذلك ، واذا كان القرآن جاء على أبلغ الاساليب العربية ، فليس هناك ما يمنع أن يراعى القرآن هذه المناسبة ، وفى بعض الأحايين تكون هى وحدها الداعية الى أن يجىء النظم على صورة خاصة .

● ●

القضية الثانية :

اتفق العلماء على أن الفواصل لا يجوز أن تسمى قوافى ، وقالوا فى تعليل ذلك : لأن الله تعالى لما سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه ، وخاصة به فى الاصطلاح .

كما اتفقوا على امتناع استعمال الفاصلة فى الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه . ثم اختلفوا وطال بينهم الخلاف حول جواز استعمال السجع فى القرآن .

وقبل أن نفيض الحديث فى هذا الخلاف نشير الى موقف العلماء من السجع

فى ذاته فنقول : قضية السجع قضية قديمة ، وقد كان الجاحظ من أوائل المتكلمين فيها ، فقد دافع عنه ، وأكد أنه فضيلة من فضائل الكلام البليغ .

جاء فى (البيان والتبيين) : قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى : لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى ، واقامة الوزن ؟ قال : ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الا سماع الشاهد لقل خلافى عليك ، ولكنى أريد الغائب والحاضر ، والراهن والغابر ، فالحفظ اليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد ، وبقلة التفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره .

قالوا : فقد قيل للذى قال : يا رسول الله ، أرأيت من لا شرب ولا أكل ، وصاح واستهل أليس مثل ذلك يطل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسجع كسجع الجاهلية » ؟

قال عبد الصمد : لو أن هذا المتكلم لم يرد الا الاقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ، ولكنه عسى أن يكون أراد ابطال حق ، فتشادق فى الكلام .

وفى هذا الكلام سببان من أسباب الرغبة فى السجع :

أولهما : الرغبة فى بقاء الكلام ، لأن الحفظ الى الكلام المسجوع أسرع والتقييد له أكثر ، وذلك أن الكلام المرسل لا يعلق بالنفس علوق الكلام الموزون ، بدليل أن ما ضاع من شعر العرب أقل كثيرا مما ضاع من نثرهم ، مع أن نثر العرب كان أكثر من شعرهم .

ثانيهما : أمر نفسى ، وذلك أن النفس بطبيعتها تميل الى النغم ، وتنشط له ، والنغم يوجد فى السجع ، ولا يوجد فى الكلام المرسل الذى أطلق عليه هذا السائل للرقاشى اسم (المنثور) فكأن المنثور عنده مقابل للمقيد بوزن أو بسجع .

وفى كلام عبد الصمد اجابة واضحة ، ورد للحجة التى يتذرع بها الكارهون للسجع ، وتلك هى انكار النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل الذى سجع عنده ، وقد أجاب الرقاشى بأن النبى لم ينكر عليه السجع ، وانما أنكر عليه أنه أراد أن يتوسل به الى ابطال حق .

ثم وضح الجاحظ هذه الاجابة ، فقال : وكأن الذى كره الاسجاع بعينها ، وان كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ان كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون اليهم ، وكانوا يدعون الكهانة ، وأن مع كل واحد منهم رئيا من الجن كانوا يتكهنون ، ويحكمون بالاسجاع .

والجاحظ يشير الى الرواية الاخرى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أنكر بها على من سجع عنده ، وهى : أسجعا كسجع الكهان ؟!

ثم قال الجاحظ : قالوا : فوقع النهى فى ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم ، وفى صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم .

والجاحظ يجعل نظيرا لذلك النهى ما ورد من النهى عن رواية مرثية أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر ، ورواية هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة ، قال : فلما زالت العلة زال النهى .

ومن كلام الجاحظ نفهم أن السجع كان فى وقت ما محرما ، وأن ناسا كرهوا السجع لذلك ، ولكنه يعود فيحتج لجواز السجع ، واستحسانه ، فيذكر

أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع الشعر واستحسنه ، وأمر به شعراءه ، وأن عامة الصحابة قالوا شعرا واستمعوا واستنشدوا ، والسجع دون الشعر فكيف يحل الشعر ، ويحرم السجع ؟ وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسجع ، وكذلك الخطباء كانوا يسجعون عند الخلفاء الراشدين فلا ينهونهم وكان بعض الوعاظ الكبار سجاعا ، وقد كان يحضر مجلسه بعض كبار العلماء والزهاد فلا ينكرون عليه .

والجاحظ الذى دافع عن السجع هذا الدفاع ، ووصف به كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة نزه القرآن الكريم عنه ، وأبى أن يسمى ما فيه من الفواصل أسجاعا ، وعبارته فى ذلك : (خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور ، وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع) .

ولعل الجاحظ هو أول من أبى اطلاق السجع على الفواصل ، ثم رأينا الخلاف يحتدم فى هذه القضية فجمهور علماء المسلمين يمنعون هذه التسمية كما منعها الجاحظ ، وجماعة من العلماء والادباء يجيزونها .

قال الرمانى : (ذهب الاشعرية الى امتناع أن يقال فى القرآن سجع ، وفرقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ، ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التى تتبع المعنى ، ولا تكون مقصودة فى نفسها) قال : (ولذلك كانت الفواصل بلاغة ، والسجع عيا) .

وقد نقل القاضى أبو بكر الباقلانى هذا المذهب عن أبى الحسن الاشعرى ، ودافع عنه دفاعا مخلصا ، فقد عقد له فصلا فى كتابه (اعجاز القرآن) ، ترجمته : (باب نفى السجع عن القرآن)وقد ربط بين نفى السجع ، وبين رأيه فى تفرد القرآن بأسلوب خاص ، وذلك حيث يقول (ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلا فيها لم يقع الاعجاز) .

وهذا كلام غريب حقا ، كأنه لا وجه لاعجاز القرآن الا كونه خارجا عن أساليب العرب . وكأن تسمية رءوس الآى (فواصل) يجعله خارجا عن كلام العرب ، وتسميتها (سجعا) يجعله داخلا فيها ، ولو لم يجعله داخلا فى أساليب العرب تلك الالفاظ المشتركة ، وهذه الصور التركيبية التى لا تختلف عن كلام العرب فى شىء ، الا فى كونها فى أعلى درج البلاغة ؟

ثم يعود الباقلانى الى هذا القول الغريب ، فيقول : (ولا بد لمن جوز السجع فيه — فى القرآن — وسلك ما سلكوه من أن يسلم بما ذهب اليه النظام وعباد بن سليمان ، وهشام الفوطى ويذهب مذهبهم فى أنه ليس فى نظم القرآن وتأليفه اعجاز ، وانه يمكن معارضته ، وانما صرفوا عنه ضربا من الصرف) .

ويمكن تلخيص الحجج التى اعتمد عليها المانعون فيما يلى ، كما جاء فى الاتقان للسيوطى :

أصل السجع من سجع الطير فشرف القرآن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ، وشرف عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها ، ولأن السجع عيب يتبع فيه المعنى اللفظ ، ولأن وصف القرآن بالسجع يجعله غير خارج عن أساليب كلام العرب ، ولو جاز أن يقال : سجع معجز لجاز أن يقولوا : شعر معجز ، والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر أن يكون حجة من نفى الشعر ، لأن الكهانة تنافى النبوات بخلاف

الشعر ، ولأن النبى صلى الله عليه وسلم ، ذم السجع بقوله للرجل الذى سجع عنده : أسجع كسجع الكهان ، وللسجع منهج محفوظ من أخل به وقع الخلل فى كلامه ، وفواصل القرآن متفاوتة ، بعضها متدانى المقاطع ، وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير ، وذلك السجع غير مرضى ولا محمود .

هذه خلاصة الادلة التى ذكروها فى امتناع اطلاق لفظ السجع على الفواصل ، وأكثر هذه الادلة — كما هو ظاهر — قابل للجدل والمناقشة ، وقد فعل كثير من المؤلفين ذلك .

فقد عقد أبو هلال العسكرى فى كتابه (الصناعتين) فصلا ، ترجمته : (فى ذكر السجع والازدواج) وقد جاء فيه : (وكذلك جميع ما فى القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمن الطلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق) .

ثم أجاب عن بعض ما يحتج به المانعون ، فقال عن انكار النبى — صلى الله عليه وسلم — على من سجع عنده : (ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعا لقال : أسجعا ، ثم سكت) ثم قال بعد ذلك : (وكيف يذمه ويكرهه ، واذا سلم من التكلف ، وبرىء من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه) .

والعسكرى على مذهب الباقلانى فى أن القرآن (فى نظمه خارج عن كلام الخلق) ولكنه يثبت السجع فيه ، ويمثل له بآيات كثيرة ، وكذلك يثبت الازدواج بل ويقول : (ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن) .

فوجود السجع والازدواج فى القرآن عند العسكرى لا يخرجه عن أن يكون مغايرا لكلام الخلق .

ويفصل ابن سنان الخفاجى القول فى رد شبه الاشاعرة ، فيتحدث عن السجع والازدواج ويلحقهما بالمناسبة بين الالفاظ فى الصيغ ، ويذكر الآراء فى استحسانها وكراهيتها ، وحجة كل فريق من المستحسنين والكارهين ، ثم يقول : (والمذهب الصحيح أن السجع محمود اذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه ، ولا أحضره الا صدق معناه ، دون موافقة لفظه) .

ثم يفرق بين الفواصل والاسجاع ، فيقول : (ان الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول ، والفواصل على ضربين : ضرب يكون سجعا ، وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع ، وضرب لا يكون سجعا ، وهو ما تقابلت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل) . وكل من هذين الضربين يكون محمودا ومذموما : (فأما القرآن فلم يرد فيه الا ما هو من القسم المحمود) .

ثم ذكر آيات من القرآن ، وأشار الى بعض السور ، وقال ان جميعها على الازدواج : (وهذا جائز أن يسمى سجعا ، لأن فيه معنى السجع ، ولا مانع فى الشرع يمنع ذلك) . وهو يشير بذلك الى الحجة التى تمسك بها المانعون من أن اطلاق السجع على القرآن لا يجوز شرعا ، لأن القرآن كلام الله تعالى فهو صفة من صفاته ، ولا يجوز وصف الله بصفة لم يرد بها اذن من الشرع ، فلا يصح أن يقال : الله يسجع ، وابن سنان لم يناقش الحجة ، وانما اكتفى باصدار الحكم ، وهو أنه لا مانع فى الشرع يمنع من أن يسمى ما فى القرآن سجعا ، ثم قال : (وأظن أن الذى دعا أصحابنا — يريد الاشاعرة —

الى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب .. ولا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا ، وبين مشاركة جميعه فى كونه عرضا وصوتا وحروفا وكلاما وعربيا ومؤلفا) .

ومرة أخرى لم يجب ابن سنان اجابة مقنعة عن حجة أصحابه ، فان كون القرآن عرضا وصوتا وحروفا .. كل هذه أوصاف عامة لكن السجع اقترن بقوم بأعيانهم هم الكهان ، فاذا كان المانعون نزهوا القرآن أن يصفوه بالسجع لأنه اقترن بطائفة خاصة فان لهم وجها من الرأى ، وهذا بخـلاف كونه كلاما ومؤلفا يشارك كلام العرب فى ذلك .

وقول ابن سنان (هذا غرض فى التسمية قريب) لا يصلح ردا ، فالذى يتضح للمنصف أن ابن سنان حاول أن يؤيد رأيه ، ويرد على المانعين ولـكنه حام ولم يقع .

● ●

ويجىء ضياء الدين بن الاثير صاحب كتاب (المثل السائر) فلا يجادل ولا يحاج ، وانما يسوق القضية مساق المسلمات ، فهو يذكر — أولا — أن السجع نوع من صناعة تأليف الالفاظ ويقول ان بعض أصحابه من الكتاب قد ذمه ، ويعلل ذلك بعجزه عن أن يأتى به ، ثم يقول : (والا فلو كان مذموما لـما ورد فى القرآن الكريم ، فانه قد أتى منه بالكثير ، وحتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور) فالرجل يتجاوز الخلاف ويأبى أن يشير اليه ، ولا شك أنه اطلع عليه فالرجل كان كثير القراءة للكتب التى ألفت قبله ، وهو — على وجه الخصوص — قد أشار الى كتاب (سر الفصاحة) لابن سنان ، وأشاد به ، فهو يقول فى مقدمة (المثل السائر) عن علم البيان وأن الناس ألفوا فيه كتبا ، وجلبوا ذهبا وحطبا ، يقول : (وما من تأليف الا وقد تصفحت شينه وسينه ، وعلمت غثه وسمينه فلم أجد ما ينتفع به فى ذلك الا كتاب الموازنة لأبى القاسم الحسن ابن بشر الآمدى ، وكتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى) فلا شك أن الرجل اطلع على حجج المانعين ، ورد المجيزين ولكنه أعرض عن كل ذلك .

غير أنه وقف عند انكار النبى صلى الله عليه وسلم على الرجل الذى سجع عنده ، ولم يزد فى اجابته عما ذكره الجاحظ .

وكما أعرض عن الخلاف فى هذه المسألة أعرض — أيضا — عن الخلاف فى قضية مراعاة المناسبة اللفظية ، وساقها مساق المسلمات ، فذكر أن القرآن قد يزيد كلمة بمعنى الكلمة السابقة عليها لأجل السجع ، وشاهده فى ذلك قول الله تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) فهو يرى أن اللفظين (رسولا — نبيا) بمعنى واحد ، ولكن لـما كان أكثر سورة مريم مسجوعا على الياء ذكر القرآن كلمة (نبيا) ليحقق بها السجعة . قال : (ايراد لفظين فى آخر احدى الفقرتين بمعنى واحد : لا بأس به لـمكان طلب السجع) . ونظر بقول النبى صلى الله عليه وسلم (مأزورات) مكان (موزورات) و (لامة) مكان (ملمة) وقد سبق أن ذكرنا هاتين الكلمتين ، ثم قال : (فالسجع قد أجيز معه تغيير وضع اللفظة — أى كما فى قول النبى صلى

الله عليه وسلم — وأجيز معه أن يورد لفظتـــان بمعنى واحد فى آخر احدى الفقرتين) أى كما فى الآية الكريمة .

والذى أراه — بعد كل هذه الرحلة الطويلة — أنه لا شيء يدعونا الى أن نسمى ما جاء من الفواصل المتماثلة سجعا ، ما دامت كلمة (الفواصل) تؤدى المعنى ، حتى يظل القرآن الكريم على قدسيته ، لا يوصف الا بما يناسبه من الالفاظ ، وحتى نسد الباب على كل مدع فنحول بينه وبين أن يطلق على القرآن أو على ألفاظه ما يطلقه على عامة كلام الناس ، وقد رأيت فى أثناء هذا البحث من يحلو له أن يقول (موسيقى الفواصل) ومن يقول (الموسيقى القرآنية) وتعدى بعضهم ذلك كثيرا فأطلق على بعض قصص القرآن « سيمفونية » وآخر اجتلب كل الالفاظ التى تستعمل فى الموسيقى فأطلقها على القرآن ، وهذا باب يأتى بأعاصير وعواصف وواجبنا أن نقف دونها ، ولا نسمح لأحد أن يصف القرآن الا بكل كلمة تليق به جلالا وقدسية .

وقد كان الاشـــاعرة على حق حين منعـــوا أن يطلق على القرآن لفظة (السجع) وان لم تكن أدلتهم مسلمة ، ولكن الشيء الذى لا ينبغى أن يمـــارى فيه أن فتح الباب أمام كل كلمة يستعملها الناس لتطلق على القرآن يجيئنا بما يمس جلال القرآن وعظمته ، فكما أن من الواجب علينا أن نحافظ على قراءات القرآن ، وعلى رسمه كذلك يجب علينا أن نقتصر فى أوصافه على ما ورد به الخبر ، أو ما يؤخذ من القرآن نفسه .

القضية الثالثة :

وهى أهم القضايا الثلاث من حيث دلالتها على الاسرار البلاغية التى يراعيها القرآن الكريم .

وقد شغلت هذه القضية كل مفسرى القرآن ، وكل الباحثين فيه ، وعنى بها علمـــاء البديع فسموها (مراعاة النظير) وبعضهم خصها باسم (تشابه الاطراف) وجعل هذا نوعا من مراعاة النظير ، وقالوا فى تحديده : أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى ، أما لكون ما ختم به كالعلة لـــا بدىء به ، أو العكس ، أو كالدليل عليه ، أو نحـــو ذلك ومثلوا له بقول الله تعـــالى : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير) . قالوا : فان عدم ادراك الابصار له وهو مدلول الجملة الاولى يناسبه قوله اللطيف ، وكونه مدركا للأبصار وهو مدلول الجملة الثانية يناسبه قوله الخبير .

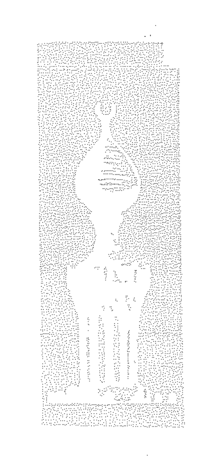
ونحو قوله تعالى : (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم) .

لـــا عدد جلائل نعمه على الناس ، وكانت كلها مسخرة مدبرة ، وكانوا لولا رحمته متعرضين حيالهـــا لمتالف عظيمة من الاهوال البحـــرية والآفات السماوية عقبها بذكر الرأفة والرحمة لينبه على كمال لطفه ، وعظيم رحمتـــه بالخلق .

قالوا : ومن أوضح ذلك ما تعطيه المقارنة بين هاتين الآيتين ، من سورة السجدة : (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) .

فالآية الاولى مسوقة للعظة عن طريق ما يروى فيسمع ، ولذلك جاء فى نهايتها : (أفلا يسمعون) والآية الثانية موعظتها بصرية مشاهدة ، ولذلك جاء

فى أولها (أو لم يروا) وفى نهايتها : (أفلا يبصرون) .
وهذا النسق أمر فطرى عند أصحاب اللغة ، وبدهى عند أصحاب الاذواق السليمة الذين تمرسوا بلغة العرب ، وأطالوا النظر فى بيانها .
روى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ : (فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولم يكن الاعرابى على علم بالقرآن ، ولكنه قال :
وصدق حس الاعرابى ، فان ختام الآية : (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) .
ان كان هذا كلام الله فلا ، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لأنه اغراء عليه . فالعزة والحكمة هما اللتان تناسبان فى معاملة من يزل من بعد ما تبين له الحق لأن فى وصف الله بالعزة ما يجعله ينتفع بعلمه ، ويتمهل طويلا قبل أن يزل ، وفى وصفه بالحكمة ما يشعر بأنه — سبحانه — له فى خلقه شئون ، ومن ذلك أن يضل السالك طريقه ، وهو يحمل المصباح الذى يهديه ، ويكشف له مزلات الطريق !
وقد عنى بعض المفسرين ببيان هذا التناسب فى كل آية ختمت بجملة منفصلة عن الجملة الاولى .
ويسمى الباحثون فى علوم القرآن هذه المسألة (ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام) وقد أكثروا من الشواهد لها ، غير أنهم ذكروا أن من ذلك ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل ، وعرف عندهم — لذلك — ما سمى (مشكلات الفواصل) .
وذكروا لذلك ، شواهد كثيرة ، منها قوله تعالى : (ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) ، فانه يبدو لغير المتأمل — فى بادىء النظر — أن المناسب أن تختم الآية بقوله (فانك أنت الغفور الرحيم) .
ومثل ذلك قوله تعالى : (أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) وقوله سبحانه فى سورة الممتحنة : (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) وقوله فى سورة غافر : (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) .
وقد أزال العلماء فى كل هذه الآيات ما خفى على قصار النظر ، ومن قولهم فى الآية الاولى : ان المحدث عنهم عصاة ، يستحقون العقوبة ، والغفران لمن يستحق العقوبة انما يكون من العزيز أى القاهر الغالب ، الذى لا يعترض على أمره ، اذ العزيز مأخوذ من عز اذا غلب ، ثم لما ذكر أن المغفرة للمذنب انما تكون من العزيز الغالب الذى لا اعتراض على أمره ناسب زيادة « الحكيم » دفعا لما يتوهم من أن العفو عن المستحق خال عن الحكمة فذكر الحكيم اشارة الى أن فعله ذلك لحكمة وسر يراعى قهرا وعدلا فكأنه يقال : ان تعف لهؤلاء المذنبين فأنت أهل لذلك اذ لا اعتراض عليك لعزتك ، ومع ذلك ففعلك لا يخلو عن حكمة ، ولو خفيت عن الخلق .
وقيل : ليس هو على مسألة الغفران ، وانما هو على معنى تسليم الامر الى من هو أملك لهم ، ولو قيل : (فانك أنت الغفور الرحيم) لأوهم الدعاء بالمغفرة ، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه .
... وبعد .. فهذا حديث عن الفواصل فى القرآن الكريم ، تضمن أهم القضايا فيها ، ولكنه لم يوفها حقها من البحث والاستقصاء ، وان كان فيه بعض الغناء . والله الهادى الى سواء السبيل .



نشأة الفقه الاسلامي وأصول مذاهبه

للأستاذ: مناع القطان

(١)

الحديث عن الفقه الاسلامي حديث عذب شائق ، تتعدد جوانبه ، وتشرق ملامحه في كل مبحث من مباحثه ، ولطالما استشرفت النفوس المؤمنة في أنحاء العالم الاسلامي الى مراجعة رصيدها الضخم ، وذخيرتها الهائلة في التشريع الاسلامي ، وفقه أئمته ، حتى تبصر سبيل مجدها ، وتدرك طريق سعادتها ، وتعمل جادة على استئناف الحياة الاسلامية الفاضلة في كل ميدان من ميادين الحياة .

والفقه الاسلامي هو المعين الذي يمد الانسانية بالمنهج السديد في كل شأن من شئونها ، حتى يستقيم أمرها على الجادة ، وتشق طريقها على هدى من ربها ، فحري بأبناء الاسلام أن يعوا هذه الحقيقة ، وبيدهم هذا الخير المتوارث الذي سعدت به البشرية قرونا عديدة ، وهي اليوم — وقد كابدت ألوان الشقاء من جراء انحرافاتها عن الاسلام — أشد ما تكون تعطشا الى سبيل الخلاص في فقه الاسلام ومبادىء الشريعة .

معنى الفقه :

والفقه في اللغة بمعنى الفهم ، ومنه قوله تعالى : (وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله (قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) وفي الاصطلاح : العلم بالاحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية .

والفقة بمعناه العام واكب الحياة الاسلامية منذ بزغ فجر الاسلام ، حيث كان الوحي يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتلقاه عنه صحابته ولهم من سلامة الذوق العربي ما يمكنهم من فهم القرآن الكريم ، والعمل بمقتضاه ، ولم يكن لديهم حاجة الى الاجتهاد في استنباط حكم الا حيث لا يجدون نصا من كتاب أو سنة ، وقد أقر رسول الله معاذا على ذلك حين بعثه الى اليمن فقال له : كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله ، قال فان لم يكن في كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم يكن في سنة رسول الله ، قال : اجتهد رأيي ، لا آلو ، قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ثم قال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد نقل أهل العلم هذا الحديث ، واحتجوا به على جواز اجتهاد الصحابة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، ووردت حوادث تدل على أنهم كانوا يجتهدون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فى كثير من الاحكام ولم يعنفهم .

١ — قال لهم رسول الله يوم الأحزاب : (لا يصلين أحد منكم العصر الا فى بنى قريظة) فاجتهد بعضهم وصلاها فى الطريق حين أدركتهم الصلاة ، وقال : لم يرد منا التأخير ، وانما أراد سرعة النهوض ، وتعجيل المسير — فنظروا الى المعنى — واجتهد آخرون وأخروها الى بنى قريظة ، فصلوها ليلا — ونظروا الى اللفظ — قال ابن القيم تعليقا على هذا : وهؤلاء سلف أهل الظاهر ، وأولئك سلف أصحاب المعانى والقياس .

٢ — ولما كان على رضى الله عنه باليمن أتاه ثلاثة نفر يختصمون فى غلام ، فقال كل منهم هو ابنى ، فأقرع على بينهم ، فجعل الولد للذى خرجت له القرعة ، وجعل عليه للرجلين ثلثى الدية ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فضحك حتى بدت نواجذه من قضاء على رضى الله عنه .

٣ — ومسألة الزبية مشهورة عن على كذلك ، روى أن قوما من أهل اليمن حفروا زبية للأسد ، فاجتمع الناس على رأسها ، فهوى فيها واحد ، فجذب ثانيا ، فجذب الثانى ثالثا ، ثم جذب الثالث رابعا ، فقتلهم الأسد ، فرفع ذلك الى على رضى الله عنه فقال : للأول ربع الدية لأنه هلك فوقه ثلاثة ، وللثانى ثلث الدية لأنه هلك فوقه اثنان ، وللثالث نصف الدية لأنه هلك فوقه واحد ، وللرابع كمال الدية ، وقال فانى أجعل الدية على من حضر رأس البئر ، فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو كما قال .

٤ — واجتهد سعد بن معاذ فى بنى قريظة ، وحكم فيهم باجتهاده ، أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ، فصوبه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات » .

٥ — وخرج رجلان من الصحابة فى سفر ، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء ، فتيمما صعيدا طيبا ثم وجدا الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ، ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال للذى لم يعد ، أصبت السنة وأجزأتك صلاتك ، وقال للذى توضأ وأعاد ، لك الأجر مرتين ، أى أنه صوبهما فى اجتهادهما .

٦ — وعن عمار قال : « أجنبت فلم أصب الماء ، فتمعكت الصعيد ، وصليت فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : (انما يكفيك هذا) وضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه ، الى غير ذلك من الحوادث .

فهذه ونظائرها نماذج لفقه الصحابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند غيبتهم عنه ، حيث لايجدون نصا من كتاب أو سنة . وقد وجدوا فى ذلك مندوحة ، لأن يجتهدوا على ضوء ما عرفوه من شريعة ربهم ، وهدى نبيهم .

الفتوحات الاسلامية ومقتضياتها :

أخذ الفتح الاسلامى يبسط نفوذه فى عهد الخلفاء الراشدين على الأقطار

المجاورة للجزيرة العربية ، ودخل تحت لواء الاسلام من أصحاب الحضارات القديمة ناس من الفرس والروم ، لهم من العقائد والتقاليد والأنظمة ما يتنافى كله أو جله مع العقيدة الاسلامية وشريعتها الغراء ، وطبيعة هذا الفتح تستوجب ثقل المسئولية وعظيم التبعة على المسلمين الفاتحين ، وتستدعى من الخلفاء أن يواجهوا هذا بتنظيم الجيوش وامدادها ، وتولية الولاة على البلاد المفتوحة ، وادارة شئونها .

وباتساع الفتوحات الاسلامية تتجدد مشكلات الناس ، وتجد أقضية لم تكن معهودة من قبل ، وليس لها أصل فى كتاب أو سنة ، وكان موقف الصحابة من القضايا الجديدة أن يجتهدوا فيها ، فمنها ما اتفقوا فيه على رأى ومنها ما اختلفوا فيه .

أهم القضايا التى اتفق عليها الصحابة :

١ ــ كانت القضية الأولى التى واجهها الصحابة اثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم قضية الخلافة ، حيث اختلفوا فيمن يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى سياستهم وتدبير شئونهم ، أما الأنصار فظنوا أن الأمر ينبغى أن يكون فيهم ، لأنهم آووا النبى صلى الله عليه وسلم والذين هاجروا ، وخاضوا المعارك فى سبيل الله ، فاجتمعوا بالفعل ، وأزمعوا أن يبايعوا رجلا منهم بالخلافة ، ورشحوا سعد بن عبادة زعيم الخزرج . ولكن الأمر انتهى الى زعماء المهاجرين ، فأسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح الى الأنصار ، ودار بينهم شىء من الجدال ، وخطب فيهم أبو بكر ، وقال لهم نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، وأقنعهم بالأمر حتى سمحت نفوسهم ، ثم أسرع عمر الى بيعة أبى بكر فتبعه الأنصار ، وبايع بعد ذلك سائر المسلمين .

٢ ــ وكانت القضية الثانية التى واجهها الصحابة هى امتناع جماعة من العرب عن أداء الزكاة ، فعزم أبو بكر أمره على قتالهم ، ولم يكن من رأى عمر بادىء الأمر قتال هؤلاء لأنهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فظل أبو بكر يراجعه حتى شرح الله صدره للقتال ، واتفق الصحابة عليه .

٣ ــ ومن القضايا التى اتفقوا عليها كذلك جمع القرآن ، فقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن قد جمع فى مصحف واحد ، وليس هناك فى كتاب أو سنة ما يدل على جمعه ، ولكن عمر رأى ضرورة ذلك بعد موقعة اليمامة ، وظل يراجع أبا بكر حتى اقتنع بذلك ، وصار هذا اجماعا من الصحابة .

٤ ــ وشاور عمر فى تدوين الدواوين ، وكان قد اتبع رأى أبى بكر فى التسوية بين الناس فى الأعطية ، فلما جاء فتح العراق رأى التفضيل فيما بينهم بقدر بلاء الرجل وجهاده ، واستشار فى ذلك ، وانتهى الأمر الى قول عمر : « ما من أحد الا له فى هذا المال ، وما أنا فيه الا كأحدكم ، ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته » .

أهم القضايا التى اختلفوا فيها :

١ ـ تدخل الأرض فى البلاد المفتوحة عنوة فى عموم الغنيمة التى قال الله تعالى فيها : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ومقتضى هذا أن تقسم الأرض المغنومة قسم الغنائم ، فيكون أربعة أخماسها للغزاة ، والخمس للمصالح العامة المذكورة فى الآية ، ولما فتحت الفتوحات فى زمن عمر سأله الصحابة قسمة الأرض التى فتحت عنوة بين الغانمين ، ولكن عمر رأى أن مستقبل المسلمين فى هذه البلاد وما تحتاجه من نفقات فى ادارتها وتنظيم شئونها وتحقيق مصالح الناس فيها يستدعى التفكير فى ابقاء هذه الأرض دون أن تقسم ، حتى يبقى لمن يجىء بعد الغانمين شىء ، وذلك بوقفها على مصالح المسلمين ، لهذا رأى عمر ترك الأرض لأهلها ، على أن يوضع عليهم ما يحتملون من خراج تكون منه أعطيات المسلمين ، وما يحتاجون اليه من نفقات للجند والقضاة والعمال وسد حاجة المعوزين من اليتامى والمساكين ، ووافق عمر على رأيه جماعة من الصحابة ، منهم عثمان وعلى ومعاذ بن جبل ، وطلحة ، وخالفه آخرون ، منهم : عبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، ورأوا أن تقسم الأرض ، ويقسم أربعة أخماسها على الغزاة ، والخمس لمن ذكروا فى كتاب الله تمسكا بآية الغنيمة .

وقد حاول بعض الفقهاء تبرير فعل عمر كما رواه أبو يوسف فى الخراج ، وذلك لقول الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الى قوله سبحانه : (والذين جاءوا من بعدهم) ونقل عن عمر أنه قال فى هذه الآية : فكيف أقسم لكم وأدع من يأتى بغير قسم ، فأجمع على تركه ، وجمع بين خراجه واقراره فى أيدى أهله ، ووضع الخراج على أيديهم والجزية على رءوسهم .

٢ ـ حد الخمر : كان الأمر قبل خلافة عمر فى عقوبة شارب الخمر على الضرب بالأيدى والنعال وأطراف الثياب دون حد مقدر ، حيث لم يفرض الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخمر حدا ، ولم يسن سنة ، فلما جاء عمر استشار الناس بعد أن كثر شرب الخمر ، فقال عبد الرحمن بن عوف أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر .

٣ ـ الطلاق الثلاث : وأمضى عمر بن الخطاب الطلاق الثلاث على خلاف ما كان الأمر قبله (فعن طاوس عن ابن عباس أنه قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوا أمرا كان لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم) .

٤ ـ صلاة التراويح : ومما ينسب الى عمر جمع الناس على صلاة التراويح فى رمضان ، وقد جاء قيام رمضان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحابته جماعة ، ثم ترك ذلك مخافة أن تجب عليهم ، وقد صلاها الناس فرادى فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدرا من خلافة عمر ، فخرج عمر ليلة فرأى الناس أوزاعا يصلون فى المسجد فقال : لو جمعتهم على امام ؟ فأمر أبى بن كعب فصلى بهم ، ثم خرج

ليلة أخرى فرآهم مجتمعين على أبى بن كعب فصلى بهم ، كما ينسب اليه زيادة النفل فى رمضان أو غيره على احدى عشرة ركعة الى عشرين ركعة أو أكثر ، وهذا أمر لم يتم الاتفاق عليه .

٥ ـــ المعهود فى حقوق العبد ، التنصيف ، واختلفوا فى الطلاق عند اختلاف الزوجين فى الحرية والرق ، فأفتى عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت بأن الحرة تكون زوجة للعبد تحرم الحرمة المؤبدة بطلقتين ، واعتبروا الطلاق بالزوج لأنه الموقع للطلاق ، وهو الذى بيده عصمة النكاح ، وخالفهما على ، فقال لا تحرم إلا بثلاث طلقات ، أما الأمة تكون زوجة للحر فتحرم بطلقتين ، فاعتبر الطلاق بالزوجة لأنها هى التى وقع عليها الطلاق .

٦ ـــ قال الله تعالى : (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) وقال : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) فقال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذكر الله فى المطلقات أن عدة الحوامل أن يضعن حملهن وذكر فى المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا ، فعلى الحامل المتوفى عنها أن تعتد أربعة أشهر وعشرا وأن تضع حملها حتى تأتى بالعدتين معا ، اذ لم يكن وضع الحمل انقضاء للعدة هنا الا فى الطلاق ـــ ويقول غيرهم : اذا وضعت ذابطنها فقد حلت ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : من شاء باهلته ، أن سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة النساء الطولى ، يعنى البقرة ، ومآله تخصيص آية البقرة بآية الطلاق .

٧ ـــ سهم المؤلفة قلوبهم : عن ابن سيرين عن عبيدة قال : جاء عيينة بن حصن ، والاقرع بن حابس الى أبى بكر فقالا : يا خليفة رسول الله ان عندنا أرضا سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فان رأيت أن تعطيناها ؟ فأقطعها اياهما ، وكتب لهما عليها كتابا ، وأشهد وليس فى القوم عمر ، فانطلقا الى عمر ليشهد لهما ، فلما سمع عمر ما فى الكتاب ، تناوله من أيديهما ، ثم تفل فيه فمحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة ، فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما ، والاسلام يومئذ قليل ، وان الله قد أغنى الاسلام ، اذهبا فاجهدا جهدكما ، لا يرعى الله عليكما ان رعيتما .

فقد خالف عمر فى ذلك أبا بكر رضى الله عنهما ، ثم أمضى أبو بكر ما فعله عمر ، مما يدل على أنه سوغ له اجتهاده ، مع أن سهم المؤلفة قلوبهم مذكور بنص القرآن فى مصارف الزكاة : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) .

٨ ـــ واختلفوا فى الجد : فقال زيد بن ثابت ـــ وهو المروى عن عمر وعثمان وعلى وابن مسعود ـــ يورث مع الأخوة ـــ وقال أبو بكر ـــ وروى عن عائشة وابن الزبير وعبد الله بن عقبة ـــ أنهم جعلوه أبا وأسقطوا الأخوة معه .

تفرق العلماء فى الأمصار :

بدأت الفتوحات الاسلامية تتسع فى عهد عمر بن الخطاب ، وظلت موجة المد الاسلامى فى المشرق والمغرب تشق طريقها من بعده ، وكان لا بد للعرب المسلمين الفاتحين أن يؤهلوا أنفسهم لحكم البلاد التى فتحوها بالعلم والمعرفة ،

ولا بد للذين دخلوا فى الاسلام من غير العرب أن يتعلموا العربية لدينهم ولدنياهم فا ستتبع الفتح الاسلامى حركة علمية فى البلاد المفتوحة .
وكان عمر يميل الى استبقاء كبار فقهاء الصحابة بالمدينة للاستعانة بهم فى الفتيا عند عرض المشكلات ، والحيلولة بينهم وبين الاشتغال بالحياة الدنيا ومظاهر الحكم ، ولكنه مع ذلك أرسل بعض الصحابة معلمين فى الأمصار بعد أن اتسعت الفتوحات ، وكتب عمر الى أهل الكوفة : « انى بعثت اليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وآثرتكم به على نفسى ، فخذوا عنه » فقدم الكوفة ونزلها ، وابتنى بها دارا الى جانب المسجد ..

وبعد عهد عمر كثر انتشار الصحابة فى البلاد المفتوحة ، وقد أنشأ هؤلاء الصحابة العلماء الذين تفرقوا فى الأمصار حركة علمية فى كل مصر نزلوا فيه ، ولدى كل واحد منهم من العلم ما قد لا يكون مع الآخر ، وكونوا مدارس منهجية فى تعليمهم ، وكان لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم ، فتخرج عليهم التابعون ، وتأثرت البلاد التى نزلوا فيها بشخصياتهم ، ونهجوا فى العلم مناهجهم ، ومن الطبيعى أن تزدهر هذه الحركات العلمية فى المدن خاصة ، لأنها أكثر ناسا وأوفر عمرانا ، وقد تميز فى هذه الحركة منهجان :
أحدهما : منهج أهل الرأى أو مدرسة الكوفة بالعراق . والثانى : منهج أهل الحديث أو مدرسة المدينة بالحجاز .

١ ـ مذهب أهل الرأى فى العراق :

ربما كان عمر بن الخطاب أكثر الصحابة فقها للنصوص واجتهادا فى فهمه ، واقداما على ابداء الرأى فيه ، والمشكلات التى اعترضت الصحابة ، واجتهدوا فيها تعطى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الميزة فى أكثر من موضع ، وان كان قد حرص على استشارة الصحابة ، والتريث فى الأمور ، فعن الشعبى قال (كانت القضية ترفع الى عمر رضى الله عنه فربما تأمل فى ذلك شهرا ويستشير أصحابه ، واليوم يفصل فى المجلس مائة قضية) وسار عبد الله بن مسعود رضى الله عنه على طريقة عمر ، وتأثر به فى آرائه ، وروى عنه أنه قال (انى لأحسب عمر ذهب بتسعة أعشار العلم) وجاء فى أعلام الموقعين أن ابن مسعود كان لا يكاد يخالف عمر فى شىء من مذاهبه ، وقال الشعبى (كان عبد الله لا يقنت ولو قنت عمر لقنت عبد الله) وهذا يدل على ان ابن مسعود نهج منهج عمر فى التفكير والاستنباط والرأى حيث لا نص . وروى عن ابراهيم النخعى أنه كان لا يعدل بقول عمر ، وابن مسعود اذا اجتمعا ، فاذا اختلفا كان قول عبد الله أعجب لأنه كان ألطف .
وقد عرفت من قبل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل عبد الله بن مسعود الى أهل الكوفة ليعلمهم ، وكانت حركته العلمية فى العراق كبيرة واسعة ، ونهج تلاميذه نهجه من بعده فاعتبرت مدرسة ابن مسعود بالعراق نواة لمدرسة الرأى حتى نسب اليها بعض التابعين فقيل (ربيعة الرأى) .
ويرجع انتشار مدرسة الرأى فى العراق الى الأمور الآتية :

١ ـ تأثرهم بالصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى كان من منحى عمر بن الخطاب واستاذ الكوفة كما عرفنا .

٢ ــ كان الحديث فى العراق قليلا اذا قيس الى ما لدى أهل الحجاز ، موطن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة .
٣ ــ والعراق متاخم للفرس ، واتصل بالحضارة الفارسية اتصالا وثيقا ، وذلك من شأنه أن يحدث كثيرا من المسائل الجزئية والمشكلات المتعددة التى تحتاج الى إعمال الرأى .

٤ ــ وكان العراق موطن الشيعة والخوارج ، وعلى أرضه دارت الفتنة ، ثم شاع الوضع فى الحديث تأييدا للمذاهب السياسية ، وهذا جعل علماءه فى مدرسته يقلون من رواية الحديث ويتحفظون فيها ، تحرزا من الوقوع فى الأحاديث الموضوعة ، فكانت الاحاديث التى يعول عليها لديهم قليلة ، وهذا يدعوهم عند النظر فى المسائل الى القول بالرأى حيث لا نص .

مميزات مدرسة أهل الرأى :

١ ــ كثرة تفريعهم الفروع لكثرة ما يعرض لهم من الحوادث نظرا لتحضرهم ، وقد ساقهم هذا الى فرض المسائل قبل أن تقع ، فأكثروا من أرأيت لو كان كذا ؟ فيسألون المسألة ويبدون فيها حكما ثم يفرعونها بقولهم (أرأيت لو كان كذا ؟) ويقلبونها على سائر وجوهها الممكنة وغير الممكنة أحيانا ، حتى سماهم أهل الحديث (الأرأيتيون) وقال سعيد بن المسيب لربيعة الرأى وقد اعترض عليه فى مسألة (أعراقى أنت ؟) وقدم على ما لك بن أنس ، أسد بن الفرات ، قال أسد : وكان أصحاب مالك يهابونه فى السؤال فكنت اسأله عن المسألة ، فاذا أجاب يقولون قل له : فان كان كذا ، فأقول له ، فضاق على يوما فقال : هذه سليسلة بنت سليسلة ، ان أردت هذا فعليك بالعراق .
٢ ــ قلة روايتهم للحديث واشتراطهم فيه شروطا لا يسلم معها الا القليل .

مذهب أهل الحديث فى الحجاز :

كان للمدينة منزلة خاصة باعتبارها دار الهجرة التى نزل فيها التشريع وشهدت ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا ، وعاش فيها الخلفاء الراشدون ، فأصبحت مهد السنة ، ومنبع الحديث ، وملتقى الصحابة ، وهذا يجعل أهلها أثبت الناس بالفقه وأشدهم تمسكا بالرواية ، ووقوفا عند الآثار .

ومدرسة المدينة فوق هذا تستقى منهجها من شيوخها الأوائل الذين فى مقدمتهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم جميعا ، وقد عرف ابن عمر بحرصه الشديد على تتبع آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتزاز به ، وتأثر بهذا المنهج تلاميذه الذين حملوا لواء العلم بهذه المدرسة ، وفى مقدمتهم سعيد ابن المسيب الذى أكب على جمع الآثار وفتاوى الصحابة ، وحفظ كثيرا منها ، وقيل فيه انه أعلم الناس بما تقدمه من الآثار ، وأفقههم فى رأيه . وعن ميمون ابن مهران قال : (أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد فسألته) ومن هذه المدرسة الشعبى الذى يقول : (ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله فخذوه ، وما كان من رأيهم فاطرحوه فى الحسن) .
ومذهب مدرسة أهل الحديث أنهم اذا سئلوا عن شىء فان عرفوا فيه آية أو حديثا أفتوا والا توقفوا ، روى عن رجل سأل سالم بن عبد الله بن عمر عن شىء فقال : لم أسمع فى هذا شيئا ، فقال له الرجل : فأخبرنى أصلحك الله

برايك قال : لا ، ثم أعاد عليه فقال : انى أرضى برايك فقال سالم : أنى ؟ لعلى أن أخبرتك برأيي ثم تذهب فأرى بعد ذلك رأيا غيره فلا أجدك .

وترجع أسباب وقوف أهل الحجاز عند النصوص الى الأمور الآتية :

١ — تأثرمدرستهم بالمنهج الذي التزمه علماؤهم كما ذكرنا في حرصهم على الاحاديث والآثار وتجنبهم الاخذ بالرأى وإعمال القياس الا اذا كانت هناك ضرورة ملجئة .

٢ — ما لديهم من ثروة كبيرة لدى الصحابة الذين استوطن اكثرهم الحجاز عامة والمدينة خاصة من أحاديث وآثار .

٣ — بساطة الحياة لدى أهل الحجاز وقلة مشكلاتهم — حيث كانوا على الفطرة الاولى بمنأى عما تحدثه المدنية الفارسية أو اليونانية من تفريع للمسائل .

٤ — بعدهم عن مواطن الفتنة وبواعث النزاع بالنسبة لما كان عليه الأمر فى العراق .

ومن مميزات هذه المدرسة :

١ — كراهيتهم لكثرة السؤال وفرض المسائل وتشعب القضايا .

٢ — الاعتداد بالحديث والوقوف عند الآثار .

وكان بين أهل الرأى وأهل الحديث منافسة شديدة ، وعاب كل فريق منهم طريقة الآخر ، وان كان من بين الحجازيين من يميل الى الـرأى كربيعة بن عبد الرحمن شيخ الامام مالك — أخرج مالك فى الموطأ عن ربيعة قال : سألت سعيد ابن المسيب : كم فى اصبع المرأة ؟ قال عشرة من الابل ، قلت ففى اصبعين ؟ قال : عشرون ، قلت : ففى ثلاثة ، قال : ثلاثون ، قلت : ففي أربع ؟ قال : عشرون . قلت : حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها ؟ ! فقال له سعيد : أعراقي أنت ؟ فقال ربيعة : بل عالم مستثبت أو جاهل متعلم ، فقال سعيد : هى السنة . يشير بهذا الى ماأخرجه النسائى عن النبى صلى اللـه عليه وسلم قال : (عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث من ديتها) ومع ورود النص لا مجال للعقل ، ولذلك عاب سعيد على ربيعة ما يعيبـه على العراقيين يومئذ من تحكيم العقل فى النصوص .

الفقهاء السبعة :

وقد اشتهر من مدرسة أهل الحجاز الفقهاء السبعة :

قال ابن القيم فى أعلام الموقعين : وكان المفتون بالمدينة من التابعين : ابن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد ، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هاشم ، وسليمان بن يسـار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وهؤلاء هم الفقهاء ، وقد نظمهم القائل فقال :

اذا قيل من فى العلم سبعة أبحر ــ روايتهم ليست عن العلم خارجة
فقل : هم عبيد الله عروة قاسم ــ سعيد أبو بكر سليمان خارجة

وعن هؤلاء السبعة انتشر فقه أهل المدينة وعلى يدهم تخرج من جاء بعدهم من الفقهاء ، وتعتبر مدرسة الفقهاء السـبعة المدرسـة الفقهية الأولى فى هذا العصر ، حتى سمى باسمهم ، فقيل عصر الفقهاء السبعة ، وكان عملهم الفقهي اساسا لمنهج الفقه الاسلامى فى البحث والنظر .

للحديث بقية

حوار حول الجهاد الأكبر

للأستاذ : أحمد محمد جمال
مكة المكرمة

خلال حوار علمى فكرى رائع .. تحدث فريق من العلماء والمفكرين حول (الجهاد الاكبر) ، وقد رأينا أن لا نحرم منه قراء « الوعى الاسلامى » لأنه جزء من رسالتها الفكرية السامية ، ولأن المسلمين — اليوم — أحوج ما يكونون الى (وعى) حقيقة الجهاد الاكبر .. الذى هو فى نظرنا دواء دائهم ، وقوة عيائهم ، ومجدد أمر دينهم ، وباعث عزائمهم ، ومحقق مكارمهم .

يرى (بعضهم) إن الحديث المشهور : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر : جهاد النفس » وهو بلفظ آخر : « قدمتم خير مقدم .. وقدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر : مجاهدة العبد هواه » — يرى بعضهم ان هذا الحديث ضعيف الاسناد . وقد رواه السيوطى فى الجامع الصغير وحكم عليه بالضعف ، كما حكم به البيهقى والعراقى أيضا .

فالحديث — فى نظر هذا البعض — واه ضعيف . مع أن كثيرا من العلماء يدافع عنه ويرى معناه صحيحا ، وهو يعارض معارضة بينة قوله تعالى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ، والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم — فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما » (١) .

---

(١) سورة النساء / ٩٥ .

راى الامام ابن القيم

● قال (أحدهم) : ان العلامة ابن القيم رحمه الله يقول فى كتابه « الفوائد » تعليقا على قول الله عز وجل « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٢) : علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا . وأفرض الجهاد جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا . فمن جاهد هذه الاهواء الاربعة فى الله هداه الله سبل رضاه الموصلة الى جنته ... ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر الا من جاهد هذه الأعداء باطنا ، فمن نصر عليها نصر على عدوه ، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه » اهـ ــ أفلا نفهم من قوله أفرض الجهاد جهاد النفس .. ما يهدف اليه الحديث النبوى الذى ضعفوه : (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر) ومن قوله « ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا » ما يهدف اليه الحديث الآنف الذكر ؟ ثم أن هزيمتنا أمام الشرذمة الباغية (اسرائيل) يؤيد ما ذهب اليه ابن القيم رحمه الله فى قوله : « ولا يتمكن من جهاد عدوه فى الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا » وكأنه رحمه الله قد شاهد هزيمتنا ، ورأى أنها نتيجة انهزامنا أمام انفسنا وأهوائنا والشيطان !

راى العلامة المناوى

● قلت : وكابن القيم يرى العلامة (المناوى) « أن الجهاد الاصغر هو جهاد العدو المتبين ، والجهاد الأكبر هو جهاد العدو المخالط ــ أى النفس ــ » ، وهو راى كثير من علماء السلف ــ رحمهم الله ــ الذين يرون أن معنى الحديث صحيح ، وان كان من حيث السند ضعيفا .

وتعقيبا على استدلال (بعضهم) بآية « لا يستوى القاعدون .. » قلت : ان فضل المجاهد على القاعد أمر غير منكر ، ولا خلاف بل اختلاف بيننا فى هذا الفضل العظيم الذى ميز الله به المجاهدين على القاعدين .

وانما نرى أن جهاد النفس يجب أن يسبق جهاد العدو ، كاعداد وتربية تمهد للقتال وتمكن من الانتصار .. كما نرى أن المسلم الذى يعجز عن مجاهدة أهوائه يعجز ــ بالتالى ــ عن مجاهدة أعدائه .. تماما كما هو الحال فى (الطهارة) لا تتم الصلاة الا بها ، ومع ذلك فليست الأولى أفضل من الثانية . والقعود مجردا ليس أفضل من الجهاد ، ولا القعود للتربية والاعداد أفضل من الجهاد مطلقا . وانما كانت الأهمية والأسبقية لجهاد النفس .. لأنه الوسيلة والمقدمة والسلم للانتصار فى مجاهدة الاعداء .

فليلاحظ الفرق الواضح بين القول : ان القعود أفضل من الجهاد ، وهو بلا شك باطل حكم ببطلانه القرآن الكريم ، وبين القول : ان جهاد النفس مقدم وسابق على جهاد العدو .

وقريب من هذا المعنى قول أبى الطيب :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثانى

---

(٢) سورة العنكبوت / ٦٩ .

جهاد النفس فرض عين

● فرد (ثالث) : يجب أن لا يغيب عن البال أن جهاد العدو فرض كفاية ، بينما جهاد المسلم لأهوائه فرض عين . كما أن الأول مؤقت والثاني دائم .. لان القتال استثناء ، والسلام — فى الاسلام — هو القاعدة . واصلاح الأنفس وتربيتها على الحق والعدل والخير ، واعدادها للدعوة الاسلامية قولا وعملا وحكما وسياسة هو المطلوب دائما ، من أجل تسعيد المجتمع الاسلامى ، وترشيد أفراده ، وجعله مثالا يحتذى صدقا وعدلا ، ومروءة وفضلا .

● وعاد (البعض) يردد : ان المستعمرين وجدوا فى هذا الحديث الضعيف سندا ، والذى يصحح كثير من العلماء معناه — وجدوا فيه صارفا للمسلمين عن الجهاد الحقيقى .. الذى هو جهاد العدو — فى نظرنا — وذلك بتصويره جهادا أصغر كما جاء فى لفظ الحديث !

موقف الاستعمار من الحديث

● قلت : ان المستعمرين كانوا أذكى وأوعى لمعنى الحديث الذى قيل أنه ضعيف الاسناد — فذهبوا منذ زمن طويل يحببون الى المسلمين اللذائذ والشهوات وانتهاك الحرمات ، واختلاط الاولاد بالبنات ، ويطعنون فى أحكام الاسلام وآدابه ، وبذلك أسكتوا فى نفوسهم هاتف (الجهاد الأكبر) ، جهاد النفس ، فانغمس المسلمون فى متع الحضارة الغربية المادية ، وشغفوا بزخرفها .. فكان ما كان من ضعفهم عن الجهاد الاصغر ، وانهزامهم أمام أحقر الدول وأذل الشعوب .

وبين أيدينا بروتوكولات صهيون ، وأعمال المبشرين ، ومفتريات المستشرقين : شواهد قائمة على صدق ما نقول من خدمة أعدائنا فى معرفة حقيقة (الجهاد) التى صرفونا عنها باسم التطور والتحضر ، والتحرر من مكارم الاخلاق ، التى بعث من أجلها الرسول صلى الله عليه وسلم وأنزل علينا القرآن الكريم .

موقف الفقهاء من الأحاديث الضعيفة

● قال هذا (البعض) نفسه : ان الحديث ضعيف السند كما ترون . وكم أساءت الأحاديث الضعيفة الى السيرة النبوية ، بل الى الشريعة الاسلامية .. حيث كانت — الأحاديث الضعيفة — سببا للاختلاف بين العلماء والفقهاء !

● قلت : اننى أخالفكم فى هذا أيضا .. فالحديث الضعيف — كما قال الامام أحمد رضى الله عنه — « خير من آراء الرجال » . ولذلك يؤخذ به فى فضائل الأعمال ومناقب الرجال . كما أن الامام أبا حنيفة رحمه الله يقدمه على القياس الذى هو الأصل الثالث من أصول التشريع الاسلامى .

ومن ناحية أخرى نرى أن الحديث الضعيف عند هذا الامام أو ذاك الفقيه .. صحيح عند امام أو فقيه آخر . وربما كان — من وجهة نظر بعضهم —

صحيح المعنى ، أو أنه مؤيد بسنة متبعة أو عمل جار أو بآيات وأحاديث أخرى .

وهناك أحاديث نبوية صحيحة السند عارضتها فى المعنى أحاديث مثلها صحيحة السند ، فاضطر العلماء والفقهاء الى تأويلها للجمع بينها ، أو الى القول بنسخ السابق للمسبوق .

ولا شك أن نظام الجرح والتعديل — أى معرفة رجال الحديث النبوى بما يسمى مصطلح الحديث — هو مما امتازت به الشريعة الاسلامية على كافة الشرائع والأديان السماوية والوضعية ، اذ به حفظت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم التى هى الأصل الثانى للتشريع الاسلامى ، كما تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن من التحريف : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٣) .

والحديث — موضوع البحث — وان كان ضعيف الاسناد ، الا أنه صحيح المعنى ، سليم المتن ، ولا نزعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قاله ، ولكننا نرى أن آيات كثيرة من القرآن وأحاديث أخرى من سيرة الرسول وتاريخ الصحابة تؤيد معناه .

الجهاد الأكبر .. هو جهاد النفس

أجل ان الجهاد الأكبر هو جهاد النفس — كما يرى ذلك كثير من علماء السلف والخلف . وهذا لا يعنى أن يقعد المسلمون عن قتال أعدائهم وخصماء دينهم . بل يعنى أن جهاد النفس هو المقدمة والوسيلة والسلم للجهاد الأصغر الذى هو جهاد العدو .. لأنه لا نتيجة بلا مقدمة ولا غاية بلا وسيلة ، ولا ارتقاء بلا سلم ، ولا انتصار على عدو الا بقوة نفسية وأخلاقية ، ولا شجاعة صحيحة الا برأى حكيم — كما قال أبو الطيب .

والجهاد الأكبر هو جهاد النفس لأنك « لا تجنى من الشوك العنب » كما يقول المثل العربى .. لا تجنى من النفوس التى طمست بصائرها المعصية ، وشدت على ضمائرها القسوة ، وعميت عليها الأنباء والسبل ، وركنت الى الشهوات والملاذ — انك لا تنتظر من هذه النفوس : نفوس الجبناء والفساق : قوة أمام العدو ، ولا جراة على القتال ، ولا صبرا على التضحية والفداء ، ولا رغبة فى النصر أو الشهادة .

لذلك كان جهاد النفس أكبر من جهاد العدو ، فهو الذى يمهد له ويحققه ، ويجعله محببا ميسورا ، ويدفع بالرجل التقى الصالح ، الى ساحة الجهاد ، وهو مبتسم فرح بلقاء العدو ، بل تراه فى ميدان المعركة يتشمم ريح الجنة التى تنتظره اذا قتل شهيدا ، وتسمعه وهو يهتف : (هبى ريح الجنة) !

وتراه .. وهو ينطلق الى الجهاد ، قاذفا بما فى يده من طعام شهى ، أو هاجرا عروسه الجميلة الحبيبة ولما يكمل ليلته معها — كما حدث لحنظلة بن أبى عامر — أو متمنيا لقاء ولده المشرك ليقتله وابنه يتحاماه — كما حدث لأبى

---

(٣) سورة الحجر / ٩ .

بكر رضي الله عنه في غزوة بدر .. الى آخر تلك النماذج الصالحة المؤمنة التي رباها الاسلام في مدرسته ، وصنعها الرسول على عينه ، وأنشأها القرآن على التقوى ، على جهاد النفس ، الجهاد الاكبر ، حتى كان الله ورسوله في قلوبها وسلوكها أحب اليها من أنفسها وولدها والناس أجمعين .

فلا شيء — الا الجهاد الاكبر جهاد النفس أو (مجاهدة العبد هواه) — يجعل الرجل مؤمنا صادق الايمان ، تقيا صحيح التقوى ، جريئا على لقاء أعدائه ، زاهدا في متاع الدنيا وزينتها ، مؤثرا الشهادة في سبيل الله على الزوجة والولد والحياة .

ومن هنا جاءت الآيات القرآنية تؤيد معنى الحديث ، وان كان ضعيف الاسناد . جاء القرآن يحث على (التقوى) في آيات كثيرة مكررة . كما يحث على (الايمان) أيضا . والايمان والتقوى هما الجهاد الأكبر .. جهاد النفس .

ولذلك قال الله عز وجل — في سورة الحجرات(٤) — : (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ..) وقال بعد ذلك : (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) .

فلنتأمل قوله « ثم لم يرتابوا » فمعناه : أنهم آمنوا بالله ورسوله ولم يرتابوا فيما أمرا به وفيما نهيا عنه ، وفيما وعدا به من حسن المثوبة على صالحات الأعمال .

وهؤلاء الذين : (آمنوا .. ثم لم يرتابوا) هم المجاهدون لأنفسهم ، ومجاهدتهم لأنفسهم هي الجهاد الأكبر ، لأنهم صبروا على شدائد الطاعات ، وفطموا أنفسهم عن لذائذ المنكرات ، وقاوموا مغريات الشح والبخل بالمال والنفس فبذلوهما في سبيل الله عن رضى وسماح .

الايمان : قول وعمل ونية

● فقال (بعضهم) : ان الايمان بتعريف السلف هو قول وعمل . قال الامام الشافعي رضي الله عنه — في الأم — وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : ان الايمان قول وعمل ونية لا يجزى واحد من الثلاثة عن الآخر » فكيف تقولون : ان الايمان والتقوى هما الجهاد الأكبر جهاد النفس ؟

● قلت : إنني لم أقصد التعريف الحرفي للايمان ، والذي يفرق بينه وبين الاسلام والاحسان .. كتحديد لكل معنى من المعاني الثلاثة ، كما يفعل المؤلفون والمدرسون بالنسبة للطلاب أو المبتدئين في معرفة الدين .. وانما قصدت المفهوم الكلي للايمان وثمراته ، مضافا اليه التقوى التي هي الائتمار والازدجار . وبهذا المفهوم لا تختلفون معي في القول : بأن الايمان والتقوى معا هما الجهاد الاكبر ، جهاد النفس — فالايمان كما يراه الشافعي وكما يراه السلف من

---

(٤) الآية / ١٥ .

صحابة وتابعين — كما نقلتم عنه — قول وعمل ونية وهذه الثلاثة مجتمعة هي : الجهاد الأكبر جهاد النفس .. حتى تؤمن بالله ورسوله وكتابه عقيدة وقولا وسلوكا ، فتتقي محارمه وتجتنب معاصيه ، وتقبل على طاعاته وعباداته ، وتجاهد أهواءها الباطنة أو المخالطة — كما يقول المناوى — ثم تجاهد عدوها الخارجي ، حيث ترى الدنيا — فى عينيها — رخيصة وما عند الله أبقى وأغلى وأجل .

فلا فرق — اذن — ولا اختلاف بين المعانى والمقاصد الكلية لكلتا العبارتين عن (الايمان) وقد جاءت (التقوى) فى عبارتى زيادة فى تأكيد المعنى وتوضيحه وتركيزه .

لا طمانينة فى الحديث الى القعود !

أما قولكم : ان الحديث يعطى الطمأنينة ، ويحبذ القعود .. للمسلمين ، فهو ان كان له هـذا الأثر ، فذلك بالنسبة للمسلمين المحسوبين على الاسلام بأنسابهم أو بشهادات ميلادهم .. الذين (ارتابوا) فى دين الله ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه ، انهم لا يكفون عن معصية ، ولا يفرون الى طاعة ، وان صلوا أو صاموا فليس لهم من صـلاتهم أو صيامهم الا القيام والقعود ، والا العطش والجوع . لأنهم لم يصدقوا الله ايمانا ، ولم يخلصوا لرسوله اتباعا .

الجهاد .. فى الحديث النبوى

وكذلك قدم الحديث النبوى (الايمان) بالله ورسوله على الجهاد . لأن الايمان هو التربية على الجهاد ، قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه البخارى ومسلم : (سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ فقال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم مـاذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور) .

وفى الحديث النبوى : « أفضل الجهاد : كلمة حق عند سلطان جائر) . وكلمة الحق هنا تعنى الأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر ، فهو لون من ألوان الجهاد الأكبر جهاد النفس ، وأفضل هذه الألوان من جهاد النفس : أن يكون الأمر والنهى موجهين الى سلطان مرهوب البطش ، مخوف السطوة .

وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى حديث معروف — من تداعى الأمم علينا ، كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، على الرغم من كثرتنا ، ولكننا غثاء كغثاء السيل .. وذلك لانكبابنا على حب الدنيا وملذاتها ، وانتزاع المهابة من قلوب أعدائنا لنا .

وفى الحـديث النبوى أيضا — أن شابا قـويا مر بين أيدى الصحابة والرسول عليه الصلاة والسلام معهم ، فقال بعضهم : لو كان هذا فى سبيل الله ! أى تمنوا أن يكون شبابه وجلده ونشاطه جهـادا فى سبيل الله . فرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوضح لهم أن الجهاد فى سبيل الله ليس هو لقاء العدو فى الميدان وحده ، فهناك ألوان من الجهاد فى سبيل الله قد

تساوى أو تفضل مجـاهدة الأعداء فى معـترك القتال . قال عليه الصلاة والسلام : انه اذا كان يسعى على نفسه يكفها عن سؤال الناس فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى على أبوين ضعيفين فهو أيضا فى سبيل الله ـ أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

فهذا نموذج تربوى نبوى يعطينا الـدليل الساطع على أن السعى على النفس أو الأهل للاستغناء والتعفف عن مساءلة الناس ، وللاستعلاء على هوان الحاجة ـ هو جهاد فى سبيل الله يضارع جهاد الأعداء ـ بل يفوقه ويسبقه والا لما دافع الرسول عليه الصلاة والسلام عنه ، وأبرأ ذمة الشاب من الملامة عليه .

والنموذج الثانى من التربية النبوية على جهاد النفس : شاب آخر جاء اليه صلى الله عليه وسلم .. يستأذنه للجهاد فى سبيل الله ؟ فسأله الرسول : أحى والداك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهد !!

هذا التوجيه النبوى له نفس دلالة الاول ، ويزيد عليها بتقديم المجاهدة فى سبيل اغناء الأبوين عن ذل الحاجة وهوان المسألة على الجهاد فى الميدان .

الجهاد أنـواع شتى

ان الحديث الاول يوجه الى أن الجهاد فى سبيل الله أنواع شتى ، وليس هو الجهاد مع العدو وحده .. فالجهـاد لصيانة الـوجه من ذل السؤال ، وللتكسب بطريق الحلال ، والجهاد لرعاية الأبوين وبرهما واكرامهما عن الحاجة ـ هما جهاد فى سبيل الله كجهاد العدو تماما ، بل يفضلان عليه .

أما الحديث الثانى فصريح فى ايثار الجهـاد بالعمـل المعيشي من أجل الكرامة النفسية والعائلية ، وحفظها من ذل الفاقة ، وهوان المسألة ـ ايثار ذلك على جهاد العدو ، اذ قال عليه الصلاة والسلام للشاب : (ففيهما فجاهد) ولم يأذن له بالخروج الى المعركة .

ونخلص من هذين النموذجين للتربية النبوية الرشيدة الى تأكيد ما سبق من أن مجاهدة النفس ، وتربيتها على الايمان والتقوى ، وعلى الخلق الكريم ، وعلى العزة والاباء ، وعلى السعى الجاهد للتكسب والاحتراف .. من أجل الاستغناء عن المسألة ، والارتفاع على مذلتها وهوانها ـ ان مجاهدة النفس وتربيتها على نحو ذلك هو الذى يليق بالمسلم ، وهو المقدمة والسابقة والوسيلة الى امكان مجاهدة العدو الخارجي ، على حالة من التقوى والكرامة والعزة ، تعين على الانتصار عليه .

ذلك أن النفس التى أذلتها الحاجة ، أو أخلدت الى المزيد من الشهوات والملاذ والأهواء ، أو أقعدها الكسل والجبن عن التكسب الحلال والاحتراف الكريم ، أو لازمها عدم الاهتمام بواجب أو حق فرضه الله عليها نحو أسرتها

ــ وفى مقدمتها الوالدان ــ هذه (النفس) ليست جديرة ... بل ليست قديرة على مجاهدة الاعداء فى ميدان القتال .

الجهاد الاكبر .. فى نظر عمر

ولنلاحظ هنا : أن عمر بن الخطاب الخليفــة الراشدى الثانى ــ والرجل المحدث الملهم ــ كان اذا بعث بعوثا لقتال العدو .. يحذر جنده من ارتكاب المعاصى ، ويقول لهم : انكم لا تنتصرون على عدوكم بكثرة ولا قوة ، فانهم أكثر منكم عددا واقوى سلاحا .. وانما تنتصرون عليهم بطاعتكم لله ، ومعصيتهم اياه !!

و (من يهن ــ كما يقول أبو الطيب ــ يسهل الهوان عليه) وفاقد الشيء لا يعطيه ، وانك لا تجنى من الشوك العنب ، وعلى قــدر أهل العزم تأتى العزائم ، وتأتى على قدر الكرام المكارم ــ كما يقول أبو الطيب أيضا .

دروس من المعارك الاسلامية

وفى دروس التاريخ الاسلامى ، من خلال المعارك الاسلامية الاولى .. نجد صورا أو عبرا تؤيد كون الجهاد الأكبر هو جهاد النفس ، بمعنى تربيتها وتقويمها على الايمان والطاعة والصبر والمصابرة ، والتزام المبادىء والاوامر التى تصدر من القائــد الأعلى ، أو الرئيس أو الأمير أو الخليفة .

ان انهزام الجيش الاســلامى فى معــركة أحد وغزوة حنين ــ مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قائــدهم ورائدهم ــ كان انهزاما أخلاقيا أساسا ثم عسكريا تبعا . فقد خالف الرماة أمر الرسول بعــدم ترك الجبل والتزامه ولو أنهم رأوا الطير تتخطف الجيش ، أو حتى لو أنهم رأوهم منتصرين .. فنزلوا عن الجبل ، والتف عليهم خالد بن الوليد وكان يومذاك قائد فرسان المشركين ، فكانت الهزيمة ــ لان الرماة لم يجاهــدوا أنفسهم وأهواءها فى الرغبة فى مشاركة المسلمين فى جمع الغنائم .

وفى غزوة حنين أعجبت المسلمين كثرتهم ، فقالوا : لن نهزم أو نغلب اليوم من قلة . وقد منعهم أدب الاسلام من الاغترار بقوتهم أو كثرتهم ، لأن النصر من عند الله . فانهزموا تأديبا وتربية لهم ، وسجل القرآن الكريم الحادثة تذكيرا للمسلــمين من بعدهم ، وتحــذيرا من العجب والخيلاء ، والاعتداد بالنفس ، وترويضا على الايمان بالله ناصرا ومعينا : (.. ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) (٥) .

---

(٥) الآية ٢٥ من سورة براءة .

حربنا مع اسرائيل

ومن تجارب المسلمين الحديثة : حربهم مع اسرائيل خلال العشرين سنة الماضية ، أى منذ ١٩٤٨ حتى اليوم . انها مصداق لمعنى الحديث الذى يضعفون اسناده ، فنحن العرب : مئة مليون نحارب اسرائيل التى لا يزيد عدد سكانها على مليونين . نحن العرب أربع عشرة دولة نحارب دويلة حقيرة صغيرة ، نحاربها خلال عشرين سنة ولا ننتصر عليها ، بل هى التى تنتصر علينا ، وتسلبنا أرضا جديدة من أرضنا ، ونظل نشكو على من لا ينصفنا !

ولو كنا نجاهد أنفسنا لتحكيم (الاسلام) فى أخلاقنا واسرنا ومجتمعاتنا ، وصبرنا على طاعاته ، وهجرنا لذائذ معصياته — لتهيأنا للجهاد الاصغر ، وهزمنا عدونا فى المعركة الاولى !

وكلنا يعرف القائد العسكرى المؤمن اللواء الركن محمود شيت خطاب الذى كتب فى مجلة (الوعى الاسلامى) سلسلة من التحليلات العسكرية والسياسية والأخلاقية الرائعة عن هزيمة العرب فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ تجاه اسرائيل ..

هذا العسكرى العربى المفكر المؤمن .. الذى الف العديد من الكتب القيمة عن الرسول القائد ، وعن الفتوح والغزوات الاسلامية الاولى .. وعن اسرارها ونتائجها — يقول فى احدى مقالاته — بمجلة الوعى الاسلامى : انه لا قيمة للسلاح بدون انسان ، ولا قيمة للانسان بدون ايمان . ولا يزال الانسان هو المسيطر على كل سلاح وعتاد ، وبدونه لا قيمة لكل سلاح ولكل عتاد . ولكن الانسان بدون عقيدة تجمع شمله ، وترص صفوفه ، وتوحد كلمته ، وتشيع فيه الانسجام الفكرى .. الذى بدونه لا يكون تعاون ولا اتحاد — هذا الانسان لا قيمة له من الناحية العسكرية . وهذه العقيدة هى مثل عليا يؤمن بها الانسان ويضحى من أجلها بالنفس والمال . ولان نفس الانسان هى أغلى ما يملكه .. فمن المستحيل أن يضحى بها الانسان الا اذا كانت له عقيدة راسخة ، وأهداف سامية . وحين كان العرب قادة وجنودا وأفرادا وشعوبا متمسكين بعقيدتهم السماوية فتحوا العالم ، وقادوا الحضارة العالمية ، وحين تخلى العرب عن عقيدتهم .. تداعت عليهم الامم كما تداعى الاكلة على الثريد » .

قلت : هذا هو مايعنيه « الجهاد الأكبر .. جهاد النفس » فى الحديث الذى يرتاب بعض العلماء الأفاضل فى صحة معناه .

وفى كتاب (الطريق الى القيادة) الذى وضعه « مونتغومرى » أبرز قادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) يقول المؤلف : ان القائد يجب أن يكون متمسكا بمثل عليا ، وبالفضائل الدينية ، كما يجب أن تكون حياته الخاصة فوق الشبهات لكى يحترمه الذين يقودهم ، والميزة الاولى للقائد الناجح اخلاصه ونكران ذاته ، وولاؤه التام للقضية التى يخدمها . وقد كان نجاحى نتيجة لتمسكى بدينى وعقيدتى الروحية ، وبالخالق الفاضل » .

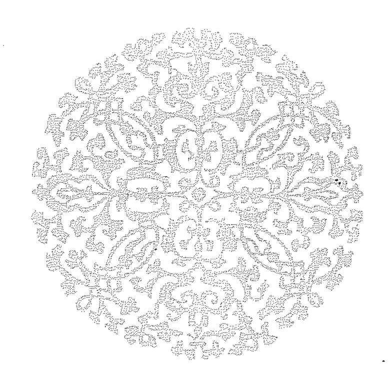
وفى مقال للعلامة الاستاذ أبى الحسن الندوى بعنوان « الحقيقة » نشرته (الرائد) الهندية — يعزو فضيلته تخلف المسلمين عن الجهاد فى سبيل الله ، واعلاء كلمته ، وتحمل المشاق وتجرع المرائر فى هذا السبيل — يعزو ذلك الى عبادتهم للمادة وحب الدنيا ، وتأثرهم بالحضارة الغربية وزخارفها ومتعها !

وفى محاضرة بعنوان (الاسلام ومعركة المصير) القاها الدكتور أحمد شوقى الفنجرى بالكويت ونشرتها مجلة (النهضة) الكويتية — يقول المحاضر : ان الله قد جعل لنا من حرب اسرائيل امتحانا لنا لكى ينبهنا الى (أهمية) الرجوع اليه ، والاستعانة بتعاليمه حتى نصل الى النصر . وليس القصد من (معركة المصير) ما اصطلح عليه بعض الساسة من تسميته « بمشكلة الشرق الاوسط » أو انسحاب اسرائيل الى حدود ٦٧ أو ٤٨ — ولكن معركة المصير تبدأ من الأعماق لا من السطح ، ومن نقطة الصفر لا من آخر المطاف . انها معركة يجب أن تبدأ مع أنفسنا ، قبل أن تبدأ مع أعدائنا . . . تبدأ باعادة تربية الفرد ، وبناء المجتمع ، واصلاح الدولة ، وبعث أمة جديدة لها عزة وهيبة وبأس !!

ويقول الدكتور مصطفى عبد الواحد — فى مجلة الرابطة المكية — (ان أفضل الجهاد فى عصرنا : هو الوقوف أمام هذا الغزو الفكرى الذى توجهه الحضارة الغربية المادية ، ويستهدف القضاء على كيان المجتمع الاسلامى ، وذلك بفضح خططه وأساليبه ، وتحذير المخدوعين ببريقه .. من التهلكة التى يلقون بأنفسهم فيها) .

قلت : وهكذا يظل الحديث الذى ضعفوه سندا — صحيح المضمون قوى الاعجاز .. لان تجارب التاريخ الاسلامى ، منذ عهد النبوة الى اليوم تؤكد « أهمية » التربية النفسية ، والاعداد الخلقى ، فى عملية الانتصار على الأعداء .

أقول قولى هذا .. واحمد الله ان أصبت ، واستغفره ان أخطأت . وفى نفس الوقت أدعو رجال الفكر والعلم الى مناقشة هذا الموضوع المهم الذى هو مشكلة المسلمين الاولى — اليوم — وقضيتهم الكبرى ، ومناط تقدمهم أو تخلفهم ، وانتصارهم أو انهزامهم أمام التيارات الفكرية والسياسية المعادية المهاجمة . والله الموفق والمستعان .



الوجدان المسلكي

وأثره في تقدّم الأمم والجماعات

للدكتور
وهبة الزحيلي

كلما ارتقى الانسان ، ازدادت مسئوليته ، وتضاعفت تبعاته ، وعظم حسابه ، وبقدر علو المراتب يسمو المرء المخلص ، وتطلو همته ، ويتفاقم نشاطه ، ويتعاظم خطره ، وكل مسئول في أي منصب عز وهان ، علا وانخفض : يعتبر عنوان تقدم الأمة ، ورمز حضارة شعبها ، ودليل المجد والتفوق فيها .

فاذا أخلص العامل في عمله ، وتفانى في القيام بواجبه ، واستشعر عظم التكليف بمهمته ، ارتدت آثار ذلك على أمته بالخير والنمو والازدهار والنتاج الخصيب .

وأما اذا خان الأمانة أو قصر وأهمل في واجب العمل ، انتكست طبيعته ، وارتكست فطرته ، وأضر مجتمعه ، وكان عنصر وبال وخراب ودمار ، ومنشأ كل تخلف وتأخر وانحطاط .

اذا تأمل كل انسان في الجهاز الحكومي لكل دولة لاسيما في شرقنا الأدنى ، وجد جيشا من الموظفين في كل وزارة ، وكتلا بشرية متراصة في كل دائرة ، ومناضد ومكاتب

مصفوفة فى كل قاعة هنا وهناك ، واذا لقى المرء فى أوســـاط ذلك الحشد الضخم والبناء الفخم صاحبا له ، سارع الى بث شكواه وانينه من ضآلة انتاج أولئك الموظفين ، وأخذ يسرد له أعاجيب القصص عن معاملات وقضـايا طال عليها الزمن دون أن يؤذن فجر صبحها بالانغلاق ، أو تقترب فيها ساعة المخاض ، أو ولادة النجل الشقى أو السعيد .

وتضيع الســاعات بل الأيام فى البحث عن اضبارة قضية ، ويتمنى صاحبها بعد اليأس والانتظار والكلل والملال أن يزج به ولو فى النـــار ، ليخلص من رجاء هذا الكاتب أو ذلك الرئيس ؟! ويدور صــاحب المعاملة فى حلقة مفرغة ، وكأنه أمام الموظف الذى يهزأ به ، ويسخر سائل معوز أو عابر سبيل مفزع ؟!

وتخصص بنود كبيرة من ميزانية الدولة للرواتب والمعاشـــات التى جمعت بواســطة الضرائب المتنوعة من عرق المســـكين والم المحروم وقوت الأفراخ ؟! وقد لا يصل المرء الى مطلبه مع ذلك الا برشـــوة أو شفاعة وسيط ، والكثيرون عن مثل هذا عاجزون ، أو غرباء لا يعرفون ولا يؤلفـــون ، وكأن ذلك المواطن المسئول غافل عن القاعدة الاجتماعية التى أبانها رســـول الاســـلام عليه الصلاة والسلام وهى : **((لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الـــذى يمشى بينهما))** .

فهل بذلك تعيش الأمة التى تريد النصر على عدوها ، وهل بمثل ذلك السلوك ينتظر الخير الموعود ، وهل كانت دولة الاسلام على هذا النحو من طوابير الموظفين ، أم أنه لم تكن تعرف الا الجهاد ، وبعض الدواوين التى تنظم أمور الصرف والانفاق فى سبيل الله والصالح العام ؟!

أجل ! اننا نعانى فى عصرنا هذا أزمة الضـــمير ، ووازع الدين فى النفوس ، فلا خير يرتجى ، ولا نصر يؤمل بدون وجدان مسلكى ، وضمير يقظ ، وروح طيبة وثابة نحو الفضيلة والمعروف وقضـــاء الحوائج بسرعة هائلة ، وانجاز مختصر ، فكل موظف من أصغر مرتبة الى أعلى مركز فى الدولة مطالب فى شرعة الله تعالى ، وفى كل نظام بأن يتجـــاوب مع متطلبات العصر الحـــاضر وظروف المعركة الطويلة المريرة ضـــد العدو وأعوانه ، وذلك بالقيـــام بالواجب خير قيام ، منبعثا من ضميره الحى الواعى ، ومراقبا لله خالق الكون فى سره وعلانيتـــه ، دون مصـــانعة ولا رياء ، ولا تملق ولا نفـــاق ، ولا احتســـاب للأجر فقط ، أو طلب للمزيد منه ، أو تطلع الى الترقيـــة المادية ، أو اعتلاء المنصب الأرفع ، أو المكان الأسد الأمنع .

ومن المعروف أن القيام بالواجب مدعاة الى طمأنينة النفس وارتيـــاح القلب وســـعادة الانســـان وطهر الكسب وســـلامة العافية ، وأما التلكؤ فى العمل والابطـــاء بأداء الواجب فهـــو مجلبة للنقـــائص والفضائح ، وسبيل الشقاء ، ومثار القلق والاضطراب ، وشتات الجنان وذهول الفكر .

ونظام الاســـلام بدوره الباعث للحضارة الانسانية أشاد اشـــادة بالغة بمبدأ القيـــام بالواجب أو الوجدان المسلكى ، واعتبره مظهرا من مظـــاهر الأمانة العظمى التى حملها الانســـان فى هذه الحياة ، والتزمها رسل الله الكرام ، واتصفوا بها على أنها أقدس الصـــفات التى ينبغى التحلى بها لتكون وســـيلة أســـاسية للنجـــاح فى دعوتهم الاصلاحية التى ترفد العالم بكل خير وسعادة .

واتباع الرسل وبخاصة المسلمون

تنعكس عليهم صفة الأمانة هذه ، فالمسلم الصادق الايمان أمين على كل شيء في حياته ، أمين في دينه وأخلاقه وسيرته وعمله وفي جميع حقوقه وواجباته ، فهو في وظيفته وفيما يتعلق بمصالح أمته ووطنه أكفأ الناس وأمثلهم وأرعاهم للحق وأوفاهم بالعهد والالتزام ، وأحرصهم على واجب ، وأتقنهم لصنعته وعمله ، وأخلصهم في انتاجه : **« ان الله يحب من العامل اذا عمل ان يحسن »** ، وهذا كله نابع من ايمانه وأمانته ، قال الله تعالى واصفا المؤمنين : **« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »** وقد أمرنا سبحانه باتقان العمل فقال : **« يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله »** والقوام هو المبالغ في القيام بالشيء ، والاتيان به تاما كاملا سواء أكان عملا دينيا أم دنيويا ، فالاتقان والاخلاص أساس الظفر والنجاح .

والايمان الحق والأمانة بمختلف مظاهرها متلازمان ، فالمؤمن من أكرم الناس ، لأنه يقف عند حقه ، ويلتزم بواجباته المفروضة عليه تلقاء غيره دون حساب لأحد الا اطاعة أوامر الله سبحانه ، وطلبا لمرضاته ، وخشية من عذابه ، فالله عز وجل يأمر بالتزام الأمانة في كل الأحوال سرا وعلانية فيقول : **« يايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم »** ، **« ان الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها »** وقد ثبت عن علي رضي الله عنه قال : **« كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطلع علينا رجل من اهل العالية ، فقال : يا رسول الله ، اخبرني باشد شيء في هذا الدين والينه ؟ فقال : الينه اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، واشده يا اخا العالية الأمانة : انه لا دين لمن لا امانة له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له »** وقال أنس بن مالك : قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال : **« لا ايمان لمن لا عهد له ، ولا دين لمن لا عهد له »** رواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

والاخلال بواجب الأمانة كفر ونفاق ، وذلة وشقاق لذا قال صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة — **« آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان »** زاد مسلم في صحيحه : « وان صام وصلى وزعم أنه مسلم » .

واذا كانت الأمانة تعني كل ما يجب حفظه ، وكل ما يجب اداؤه الى صاحبه من الحقوق المادية والأدبية ، فان القيام بالواجب في الوظائف وغيرها من أهم مظاهر الأمانة ، فهو التزام ديني وأخلاقي ووجداني ضروري في مجال العلاقات الاجتماعية بين الناس لاسيما في عصرنا الحاضر ، لأنه الأساس الذي يرتكز عليه مبدأ الثقة العامة في التعامل ، والثقة قاعدة المعاملات ومدار الحياة ، ولولاها لما اطمأن الأفراد في ممارسة نشاطهم الاقتصادي أو التربوي أو الاجتماعي أو السياسي أو العسكري .

فالتاجر أمين في اختيار أصناف السلع الجيدة والربح المعقول ، وبيان العيوب الخفية أو الظاهرة ، قال صلى الله عليه وسلم : **« المسلم اخو المسلم ، لا يحل لمسلم باع من اخيه بيعا ، وفيه عيب ، الا بينه له »** وفي رواية **« ولا يحل لأحد يعلم ذلك الا بينه »** وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما ، فأدخل يده فيه ، فاذا هو مبلول ، فقال : **« من غشنا فليس منا »** .

والمدرس فى مختلف مراحل التعليم أمين فى تحضير درسه وتمحيص معلوماته ، واصطفاء الآراء الملائمة لدين الله وقانون الأخلاق ، كما انه أمين فى ايفاء الحق المطلوب منه لطلابه وانهاء تدريس منهاجه ، وشغل حصة الدرس كاملة بالعلم النافع ، والتثقيف الناجع ، والتهذيب السديد دون تفريط ولو بدقيقة واحدة من ساعة الدرس .. والعلماء فى هذا المضمار أمناء فيما يقولون ، وفيما يعلمون ، وفى الوقت المخصص المكافىء لما يتقاضون أو يأخذون ، يبينون الحق ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والموظف أمين فيما يعمل ، ناصح الناس فيما يستشار عنه ، لأن « المستشار مؤتمن » والرائد لا يكذب أهله » وهو مطالب بقضاء حوائج المحتاجين لا تفضلا منه ولا منة ، وانما قياما بواجبه المسلكى ، ورعاية لحق الله فى عنقه دون تقصير ولا اهمال ولا تهرب أو تكاسل وتقاعس ، ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« من ولى شيئا من أمور المسلمين ، لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم »** رواه الطبرانى ، وعن ابن مريم عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه انه قال لمعاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، أحتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين ، رواه أبو داود والترمذى ، وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« الخلق كلهم عيال الله فاحب الخلق الى الله انفعهم لعياله »** رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

والمرأة أمينة فى بيتها وعرضها ومال زوجها ، وتربية أولادها تربية صالحة قوية ، فلا يحل لها ديانة الاخلال بواجبها فى مملكتها الصغيرة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« كلكم راع ، ومسئول عن رعيته : الامام راع ، ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى اهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته »** رواه البخارى ومسلم .

والحاكم أو القائد أعظم الأمناء على مصالح الناس والبلاد واحترام تاريخ الأمة والاعتزاز بمقوماتها الدينية وتراثها الأنضر الأنصع ، ولاسيما فى وقتنا الحاضر الذى نمر فيه بمرحلة حاسمة من مراحل الصراع والكفاح وتقرير المصير مع العدو الغاصب لبلادنا المقدسة ، عن عبد الله بن مغفل المزنى رضى الله عنه قال : اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **« ما من امام ولا وال بات ليلة سوداء غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة »** رواه الطبرانى باسناد حسن ، وفى رواية له : **« ما من امام يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة ، وعرفها يوجد يوم القيامة مسيرة سبعين عاما »** .

وفى هذه المناسبة أحب أن أضيف الى ما يقرره الكاتبون من أن الجهاد فى هذه الأيام فريضة عينية فى هذا الزمن على كل مسلم ومسلمة ،

فيأثم كل واحد بتركه كترك أحد أركان الاسلام من صلاة وصيام وحج وزكاة ، أحب ان أضيف أمرا آخر هو أن فقهاء الاسلام اجمعوا كما هو مقرر فى دساتير الدول الحديثة على أن ولى الامر هو القائد الأعلى للجيش المقاتل فهو المختص باعلان الحرب حسبما تقضى بذلك مصلحة الأمة ، ويظهر له من مشاورة أهل الرأى والاختصاص فى قضايا الحرب ، وتدابير المعارك بعد توفير الخبرة والاخلاص والكفاءة والسلاح الملائم لأوضاع الحروب الحديثة ، والا كان الجهاد توريطا للأفراد والقاء بالنفس الى التهلكة .

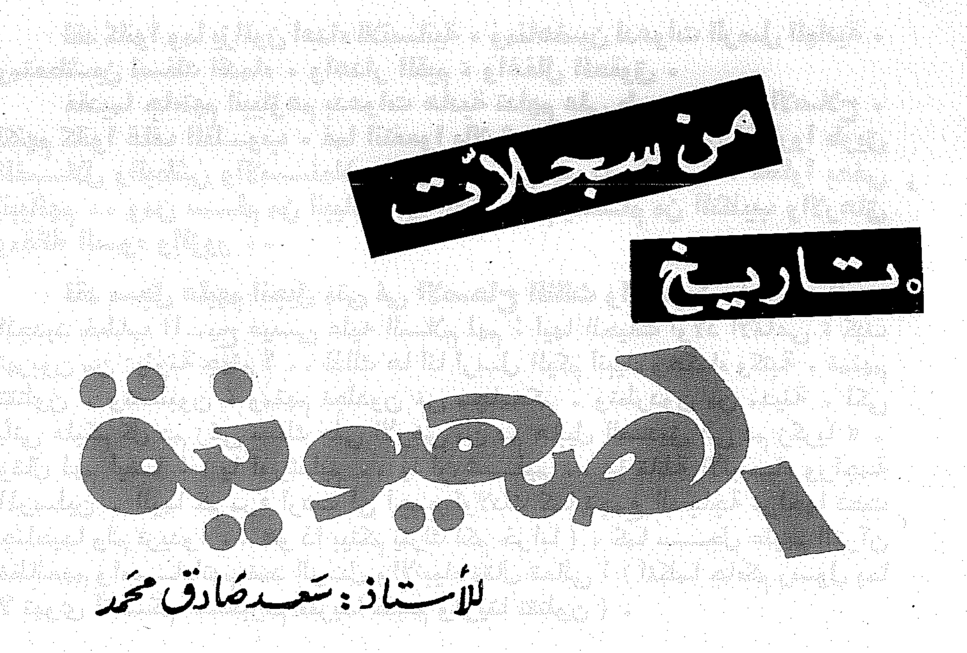
ومن المعلوم أن الجندى أو الفدائى أو الضابط أمين فى تنفيذ المهمة الموكولة اليه ، والأمر الصادر له ، ولقد كانت السرايا والبعوث فى الاسلام مثالا فذا لالتزام الواجب المكلفة به بأمانة ودقة وصدق ، وحزم وعزم وايمان .

وكل مسلم مسئول عن رعاية الأمانة فى مجتمعه الأصغر أو الأكبر بقدر الطاقة وجهد المستطاع ، فيقاوم الانحراف ، ويحارب المنكر ، ويحمى الفضيلة ، أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل** » .

وهكذا فان واجب الانسان نحو غيره يمتد فيشمل مختلف نواحى الحياة ، مع الأهل والجيران والأصدقاء حتى تتوطد صلات الناس مع بعضهم بعضا ، وتتضام شبكة منيعة بين الأفراد فى روابطهم المتعددة بحيث تتحقق كل معانى التضامن الاجتماعى التى ينشدها الاسلام ، روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدنى ؟! قال : يا رب ، كيف اعودك ، وانت رب العالمين ؟ قال : اما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، اما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده ، يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمنى ؟ قال : يا رب ، كيف اطعمك ، وانت رب العالمين ؟ قال : اما علمت ان استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم ، استسقيتك ، فلم تسقنى ؟ قال : يا رب ، وكيف اسقيك وانت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، اما انك لو سقيته وجدت ذلك عندى** » .

هذه بعض مظاهر الوجدان المسلكى أو الأمانة فى العمل ، فمن فرط فى جانب منها ، أو قصر فى رعايتها ، عاش ابد الدهر فريسة الأحزان والآلام والشقاوات ، وان كل ما نجده من شكاوى أرباب الأسر وغيرهم من اعتلال الأجسام ، وفشوا الأمراض والبلايا ، والقلق والاضطراب ، واختلال الأمن وفقد الطمأنينة ، وتكاثر المحن والفتن ، وتسلط الأعداء ، مرجعه الى الاخلال بواجب الأمانة فى القول والفعل والدين ، والوظيفة .

نعوذ بالله من هذا الخذلان والغفلة ، وما أحوجنا اليوم دولا وافرادا الى يقظة شديدة وتنبه واع



« ان الغاية تبرر الوسيلة . وعلينا ــ ونحن نضع خططنا ــ الا نلتفت الى ما هو أخلاقى وما هو خير بقدر ما نلتفت الى ما هو ضرورى ومفيد » .

« ان موازين المجتمع وتقاليده القائمة ستنهار سريعا ، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كى نبليها بسرعة . ونمحق كفايتها » .

« وحينما نمكن لأنفسنا ونكون سادة الأرض لن نسمح بقيام أى دين غير ديننا وسنكون قد حطمنا كل عقائد الأديان الأخرى ، وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الأممية » .

هذه ثلاثة من نماذج « بروتوكولات حكماء صهيون » التى حددوا فيها مسار حياتهم فى العالم وعلاقتهم مع غيرهم قبل تكوين الحكومة اليهودية العالمية وبعدها . الى أن يصبحوا أصحاب دولة وقوة .

ويبدو من خلال هذه النماذج : الروح الشريرة التى تسيطر على اليهود . كما تظهر رغبتهم المحمومة فى القضاء على دعوات الأخلاق وموازين الخير والمثل والمدنيات فى العالم . ارضاء لاستعلائهم وفسادهم . وتمشيا مع اتجاهاتهم المادية فى الحياة .

اليهود مع انبيائهم :

واذا قلبنا صفحات التاريخ . ورجعنا الى الماضى البعيد . فسنجد ان حياة اليهود ومعاملتهم لانبيائهم ــ فى اية فترة من فترات التاريخ ــ تسير على نفس هذا المنهج النفعى المادى الذى خططوه فى مؤتمر بال . وتطابق الروح العدائية التى اعلنوها فى بروتوكولاتهم .. هذه الروح التى ظلت ملازمة لهم منذ وجدوا الى يومنا هذا .

لقد كانوا وما يزالون أعداء للانسانية . ومناهضين لدعوات الرسل الهادية . ومتعطشين لسفك الدماء . واهدار القيم ، واغفال الحقوق .

فقديما جاءتهم انبياؤهم بدعوات هادية تدلهم على طريق الخير والاصلاح . لكنهم كانوا غلف القلـوب . فما انتفعوا بالارشـاد والهدى ، بل اختاروا طريق الضـلال والبطش والاسـتعلاء وملأوا الـدنيا تمردا وشرورا . فقتلوا بعض انبيائهم .. ومن سـلم من انبيائهم من القتل . لم يسـلم من التكذيب والارهاق ومقالة السوء والزور ..

لقد سجل عليهم انجيل متى فى الاصحاح الثالث والعشرين من كتاب العهد الجديد خطاب المسيح عيسى عليه السلام لهم : أيها الحيات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ .. لذلك ها أنا أرسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة . فمنهم تقتلون . وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم . وتطردون من مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا » .

وقال لهم أيضا : (يا أورشليم .. يا أورشـليم .. يا قاتلة الأنبيـاء وراجمة المرسلين . اليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا .. هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا) . كما سـجل عليهم القرآن فظائعهم واسـاءاتهم ضد الرسل والأنبياء فقال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) .

اليهود بعد سليمان :

ورث اليهود من سليمان عليه السـلام ملكا عظيما . ودولة كبيرة . وجاها عريضا . فتوفرت لهم بذلك عوامل القوة والهيلمان والسـلطان ، لكنهم بدلا من أن يحفظوا نعم الله عليهم . ويشكروا له منه وفضله . استولى عليهم الكفر والبطر شأنهم فى ذلك شـأن أصحاب النفوس النكدة . والقلوب المريضـة التى تمكر برحمة الله . وتحيلها شرا وبلاء . تتغذى به وتلقى بثمرة هذا النكد الى ما حولها .

هكذا فعل اليهود .. فقد كفروا بهذا الملك العريض . وتمردوا بالسلطان العظيم . فبغوا وطغوا وافسدوا . والقوا بثمرة فسادهم وكفرهم الى من حولهم من الشعوب والأمم باثارة الفتن والاضطرابات ليفسدوا عليهم حياتهم .. ويخربوا حضارتهم . فسلط الله عليهم البابليين عام ٥٨٦ ق.م . اذ استولى ملك البابليين (بختنصر) على (يهوذا) مملكة دولة اسرائيل ودمر هيكل سليمان . وساق القوم أسرى الى بابل . وهذا ما تشـير اليه الآية الكريمة (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) .

اليهود ايام الرسول :

وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسـلم من مكة الى المدينة ليضـع هنالك نواة دولة الاسلام الجديدة . كان يسكن هناك بعض اليهود . فنظر اليهم النبى كنظرته الى الأنصار . وأراد أن يعاملهم معاملة طيبة . فعقد معهم عهد أمان ومودة . آملا أن يعيشـوا مع المسلمين فى ظل دعوة الاسـلام فى حياة آمنة مستقرة . وليجعل منهم افرادا صالحين يفيدون المجتمع الاسلامى . وليشتركوا مع المسـلمين فى دفع عجلة الدولة الاسـلامية الجديدة الى التقدم والقوة

والسلطان . . لكن اليهود بدلا من أن يضعوا أيديهم مع المسلمين لدفع عجلة الدولة الاسلامية الى الأمام . ساروا فى اتجاه مضـــاد للدعوة المحمدية وأرادوا ارجاع العجلة الى الخلف بكل قوتهم .

فما كادت نتائج غزوة بدر الكبرى تسفر عن انتصار المسلمين . . ثم تتوالى بعد ذلك انتصاراتهم . حتى تحركت فى يهود المدينة أحقادهم وشرورهم . . لقد أيقنوا أن انتصارات المسلمين وما تلاها من تزايد عددهم . وانتشار عقائد الاسلام ستجعل المسلمين أصحاب السلطان والسيادة والقوة فى المدينة . وأيقنوا بالتالى أن قوة المسلمين وسيادتهم ستناهضهم . وتضعف مركزهم فى المدينة . . ومن هنا بدأوا يفكرون فى الأمر فلجئوا الى سياسة المناوشة والمشاكسة . فراحوا ينظمون الأشعار ضد المسلمين لاثارتهم . . ونسوا ما كان بينهم وبين النبى من عهود الأمان والاخاء . فنقضـــوه تماما . وعملوا على ايقاد نار العداوة والحرب والشرور كما اعتادوا .

وكم من مرة أنذرهم النبى وحذرهم من مغبة تصرفاتهم الطائشـــة . ولكنهم مضوا فى أحقادهم وتآمرهم ضد القيم والمثل والأخلاق . وأرادوا أن يعضوا اليد التى امتدت اليهم بالسلام والمحبة . ورفضوا معايشة النبى لهم . فأسفروا عن وجه العداوة والبغضاء للنبى وللمسلمين. ووقفوا يثيرون المسلمين تارة . ويتعاونون مع غيرهم من أعداء الاسلام تارة . ويتآمرون لقتل النبى تارة . فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم الا أن قرر القضاء عليهم ليتفرغ لدعوته . ولينجز ما أمر به فى رسالته . أما بنو قينقاع . فقد اعتدوا على المســلمين . فأجلاهم النبى عن المدينة . . وأما بنو النضير فقد ذهب اليهم النبى مسالما فتآمروا على قتله بحجر . فحاصر بيوتهم وقاتلهم وطردهم منها . . وأما بنو قريظة فقد تحالفوا مع الاحزاب الذين تكتلوا ضد الرسول وهاجموه بالمدينة للقضاء عليه وعلى دعوته . فحاصر ديارهم . ثم حكموا فى أمرهم من حكم على رجالهم بالموت وبسبى نسائهم وذراريهم وبتقسيم أموالهم غنيمة على المسلمين .

أما يهود خيبر وفدك فقد استسلموا للنبى صاغرين أذلاء . بعد طول عناد واستعلاء . هذا هو دور اليهود كجماعة وكقوة كانت موجودة فى عصر النبوة . أراد النبى لهم المعايشة والسلام . لكنهم كانوا خونة معتدين . ينقضون المواثيق . ويعملون ضـــد اتجاهات الخير والحق ويسعون لتشكيك المســلمين فى دينهم . وزعزعة الايمان فى قلوبهم . وقد نزل فيهم قول الله تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) وقوله تعالى : (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) .

الصهيونية . . والبهائية :

وبعد أن قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جموع اليهود . وحطم كيانهم فى المدينة وخيبر وفدك ظلت أحقادهم ملتهبة ضد المســلمين . وضد دعوة الاسلام . . كانوا يحاولون من حين لآخر أن يتحينوا الفرص السانحة ــ ولو كانت رخيصة دنيئة ــ ليصلوا الى أغراضهم الخبيثة .

ومن الفرص التى انتهزوها ظهور « الدعوة البهائية » فى المحيط الاسلامى كدعوة أرادت أن تجمع حولها مريدين يؤمنون بمزاعمها وأباطيلها . فتقودهم الى حيث يشاء هواها ودينها المزيف وفى هذه التربة الخصـــبة تستطيع الصهيونية أن تمرح وتصل الى أعماق ما تريد باسم البهائية .

والبهائية حركة فوضوية . وابعد ما تكون عن الاسلام وروحه وعقائده . وقد ظهرت على يد راعيها ومنشئها : ميرزا حسين الملقب بالبهاء . وهى امتداد طبيعى للدعوة البابية . ولكنها اشد غلوا من البابية .
بدأت صلة الصهيونية بالبهائية مع غانية البابية (قرة العين) واليك مايقوله مؤرخ بهائى كبير عن صلة الصهيونية بالبهائية (اقبل فوج عظيم — أى اليهود — على هذا الأمر واعتنقوه ودخلوا فى ظل البهائية . واصبحوا يشار اليهم بالبنان فى جميع بلدان ايران . وكان أول من بذر بذور تلك التطورات هناك قرة العين) .

وكانت البهائية قد ظهرت حينا فى ايران . لكنها وجدت ان المناخ فى ايران لن يساعدها على الاستقرار . فانتقلت الى فلسطين بايعاز من اليهود . واستوطنت فى عكا وحيفا . وهناك اغدق عليها الاستعمار الأموال بسخاء ليمكنها من بث أفكارها المضللة . توطئة لخدمته . . وخدمة الصهيونية العالمية أيضا .
وأخذ الصهيونيون يسخرون البهائية لمكائدهم . ويحتضنونها فى مناهضة الاسلام . ويتسترون وراء هذا القناع الجديد . فأمدوا البهاء بما جاء فى أسفارهم عن بهاء الله . بعد ان لقبوه به . ودفعوه الى أن يزعم انه المراد بلقب البهاء ويقول مؤرخ بهائى كبير : (المراد ببشارات الكتب المقدسة هو : ظهور بهاء الله الأبهى ، فانه — جل ذكره — هو وحده ادعى أن ظهوره هو ظهور اللـه الموعود ووجهه هو وجه الله المعبود . ويومه هو يوم الله المعهود) .
كما مضت الوكالة اليهودية تساند البهائية فى نشر آرائها المسمومة التى اتخذت من شعائر الماسونية (الحرية — الأخوة — المساواة) شعارا لها . كما مضت تتعاطف بهذا الشعار مع الحركة الصهيونية فى دعوة الاخاء والمحبة . لتتمكن البهائية من العمل لصالح اليهودية العالمية .
هكذا استغلت اليهودية العالمية دعوة البهائية الفوضوية . وتعاونت معها للعمل فى سبيل القضاء على الوجود العربى فى فلسطين . وتدمير كل معالم الأمة العربية وحضارتها ومقوماتها ليعيشوا على اشلاء كيان العرب والمسلمين جميعا .

الصهيونية بعد مؤتمر بال :

وفى عام ١٨٩٦ م اجتمع مؤتمر ضم يهود العالم فى مدينة بال بسويسرا حيث تم تأليف الصهيونية . وأطلق عليها أسم (الأمة اليهودية) حيث تم وضع (بروتوكولات حكماء صهيون) وعددها أربعة وعشرون . وهى عبارة عن مؤامرة خطيرة موجهة ضد البشرية جمعاء . وضد أمنهم واستقرارهم .
وبعد مؤتمر بال قامت الصهيونية بالشروع فى تكوين منظماتها واداراتها الفعالة فى كل بلدان العالم لتنفيذ قرارات الصهيونية كما رسمها مؤتمر بال بسويسرا .
وهذه القرارات هى :
١ — العمل على استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة .
٢ — تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية حسب قوانين الدول التى يعيش فيها اليهود .
٣ — دعم وتقوية الضمير اليهودى وروح الوطنية .

٤ — اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الحكومات كلما كان ذلك ضروريا على تحقيق أهداف الصهيونية .
أما المنظمات والادارات فهى :
- المؤتمر الصهيونى .
- اللجان التنفيذية .
- اللجان الاستشارية .
- المصرف اليهودى للمستعمرات .
- لجنة الاستعمار .
- الصندوق القومى اليهودى .

وبدأت الاجهزة الصهيونية هـــذه تعمل كاملة لترتبط بالجهـــود الصهيونية الشاملة لاستعمار فلسطين . وتنفيذ قرارات مؤتمر بال .
وتنفيذا للخطة عمليا بدأت هجرة اليهود المستمرة الى فلسطين عام ١٩٠٧ ، كما بدأ شراء الاراضى من عرب فلسطين لتجريد أهلهـــا تدريجيـــا من كل قوة وسلاح . حتى يحين الحين المنـــاسب للانقضاض على الضحية وهى : انتزاع فلسطين من أيدى أهلها الشرعيين .
وكان الاساس الذى قامت عليه الصهيونية بغزو فلسطين هو الخرافة التى آمن بها شعب اليهود من أن الله وعـــدهم بأنهم راجعون الى أرض الاجداد : فلسطين باعتبارها وطنهم القومى القديم وأنهم سيقيمون دولة تمتد من النيل الى الفرات .

الغاية تبرر الوسيلة :

ان الصهيونية العالمية حققت بأجهزتها المالية والادارية أهدافها وقراراتها متخذة شعار (الغاية تبرر الوسيلة) فقد أثبت ثيودور هيرتزل هذا الشعار فى مذكراته فقال : (على المرء أن يستخدم جميع الوسائل لتحقيق الغاية) .
وحين تؤمن الصهيونية بمبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) لا تتعفف عن اتخاذ اى أسلوب مهما كان هذا الأسلوب . ان اتسم باللااخلاقية والفوضوية . ما دام سيصل بها الى غايتها الدنيئة المنشودة .

الصهيونية امس :

أما أمس . فان التـــاريخ يحفظ لنا كيف رمى اليهـــود :مريم ابنة عمران بتهمة الزنا حين ولدت عيسى عليه السلام من غير أب كما يولد كل البشر بواسطة اتصال الذكر بالانثى .
وكيف قام اليهودى عبد الله بن أبى بن سلول بتدبير قصة الافك ضد عائشة الطاهرة زوجة رسول الله لاثارة الشكوك حولها ، والكيد لرسول الله ارضـــاء لنفوسهم المريضة حتى أنزل الله آية براءتها وطهرها .
وكيف عاد عبد الله بن أبى بثلث المقاتلين من أهل النفاق . والرسول فى طريقه الى غزوة أحد لمقاتلة مشركى قريش . وذلك بغرض توهين الجيش وتثبيط همته واعاقته عن مجابهة العدو ونزاله .
وكيف قام يهود المدينة بمحاولات لاثارة الاحقاد والضغائن بين قبيلتى الأوس والخزرج بغرض هدم بنيان الاخوة الاسلامية بين هاتين القبيلتين بعد أن قام

رسول الله صلى الله عليه وسلم باصلاح ما تهدم من بنيان العلاقات بينهما . اذ دفعوا بغلام منهم الى مجلس يجمع بين الاوس والخزرج يذكرهم بيوم (بعاث) وما كان من انتصار الاوس فيه على الخزرج وكادت القبيلتان أن تتنازعا . ويعودا الى ما كان بينهما من خصام وشقاق لولا تدخل رسول الله الذى ذكرهم بما الف الاسلام بين قلوبهم . فنزل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » .

وأكثر من ذلك يحفظه لنا التاريخ عن مكائد الصهيونية قديما ضد الاخلاق والفضيلة وضد دعوات الحق والخير . ويضيق المقام هنا عن ذكر كل مكائدهم ومساوئهم .

الصهيونية اليوم « وراء اجهزة الاعلام » :

واليوم تسير الصهيونية على نهج أسلافهم فى التسلط على العالم وافساد حياة الناس واثارة الشكوك فى قيمهم وتقاليدهم وتسخيرهم لمصالحهم ليحققوا أطماعهم المادية فى الحياة ولهم طرق كثيرة يسلكونها لتحقيق هذه الاطماع .

فخلف وسائل الاعلام يقف اليهود للسيطرة على الصحافة ووكالات الانباء ودور النشر والاذاعة والتلفزيون فى معظم بلاد العالم ليوجهوا الرأى العام الى ما يريدون . كما أنهم يسيطرون على الصحافة ودور النشر بطريق آخر ، هو احتكار تجارة الورق ليقبضوا أيديهم ويبسطوها حسب استجابة الصحافة لأغراضهم . وقد استطاع اليهود أن يحققوا هدفهم بهذه الوسائل كلها الى حد كبير . فقد ثبت أن الصحف والمجلات التى تخضع لسيطرة اليهود فى العالم بلغت ٨١٩ صحيفة ومجلة بمختلف اللغات وفى مختلف الاقطار .

ولا يخفى على القارىء أن الاهتمام بالسيطرة على أجهزة الاعلام جاء ضمن قرارات (بروتوكولات حكماء صهيون) فقد جاء فيها عن الصحافة (الصحافة هى القوة العظيمة التى نستطيع بها توجيه الناس . فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور . وتعلن شكاوى الشاكين . وتولد الضجر بين الغوغاء ، وقد سقطت الصحافة فى أيدينا ومن خلالها أحرزنا النفوذ . وكدسنا الذهب دون أن نظهر للعيان) .

وراء الفنون :

ومن الوسائل التى يقف خلفها الصهيونيون نجوم السينما والمسرح . وفى هذا المجال تستطيع الصهيونية أن تقدم للعالم أفلاما وروايات تحمل سموما وأفكارا صهيونية مضللة يأخذها المشاهدون وهم فى نشوة السرور والفرح دون معارضة . وفى هذا تقول بروتوكولاتهم (سنلهى الجماهير بأنواع شتى من الملاهى والالعاب لملء الفراغ . وسندعوا الناس للدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما اليها) .

وراء التجسس :

والتجسس أيضا من الوسائل التى يستعملها اليهود . فيتمكنون بواسطته من الحصول على أسرار الدول والجماعات ليخدموا بها مصالحهم . أو يتمكنون

بها من تدمير مصالح غيرهم .. وقصة يهوذا الاسخريوطى الذى تذكر الاناجيل أنه عمل جاسوسا لليهود وساومهم على تسليم عيسى نظير مبلغ من الفضة .. هذه القصة تشهد بذلك ، كما يشهد أيضا بذلك ادعاء بعض اليهود من المنافقين الدخول فى الاسلام . فقد اتخذوا النفاق مدخلا الى الاسلام لينالوا منه ومن دعوته ويذكر لنا التاريخ من هؤلاء : داعس ، ورافع بنحريملة ، وسعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت وكثيرين غيرهم .. وكان هؤلاء يجلسون مع المسلمين فى المسجد .. وحلقات الدرس ليتجسسوا على أخبار المسلمين ويتعرفوا على أمورهم حتى راقبهم المسلمون وكشفوا أمرهم وأخرجوهم من المسجد وفضحوا للملأنفاقهم .

أما فى عصرنا هذا ، فقد عملوا جواسيس للحلفاء فى ألمانيا والنمسا وأمريكا ، واستخدموا نفوذهم السياسى والاقتصادى والمالى والصحافى لتأييد قضية الحلفاء ، وفى تلك الحرب كافأهم بلفور وزير خارجية انجلترا بوعده المشئوم عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومى لهم بفلسطين .

ولا تنقطع خيوط التجسس فى الدول العربية بوسائل تخريبية متنوعة وغيرها . وكم انكشف منها الكثير .

وراء التآمر والاغتيال :

والتآمر والاغتيال احدى وسائل الصهيونية فى التسلط والسيطرة . ومن طبائعهم فى الحياة . فقديما تآمروا ضد يوسف بن يعقوب ليتخلصوا منه . ويقول الله تعالى فى هذا : « كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » .

وعندما جاء الاسلام بتشريعاته وأحكامه العادلة . تضايق اليهود من ذلك لأن الاسلام وقف ضد بغيهم وتسلطهم ، فحاولوا اغتيال النبى صلى الله عليه وسلم بعدة طرق .. فقد أوعزوا الى امرأة أن تضع له السم فى طعام دعته اليه .. ثم محاولة بنى النضير قتل رسول الله بحجر من فوق منازلهم حين ذهب اليهم مسالما ليستعين بهم فى دفع دية رجلين من بنى عامر كانا يحملان كتاب أمان من النبى وقتلهما المسلمون خطأ .. حاولوا قتله فأنجاه الله من غدرهم ، كما أنهم دبروا مقتل عمر وعثمان رضى الله عنهما .. كذلك نجد أن معظم حركات الاغتيال التى حدثت فى العالم الاسلامى بعد عصر النبوة كانت من تدبيرهم .

ولقد ظلت طبيعة الاغتيال ملازمة لليهود فى كل فترات التاريخ . ففى تاريخنا المعاصر قتلوا ستة من الروسيين عن طريق المنظمة الارهابية (الحزب الاشتراكى الثورى) التى كان يرأسها اليهودى (غرشونى) . وقتلوا بعض الانجليز فى فلسطين وألمانيا وأمريكا . كما قتلت (جماعة شتيرن) الارهابية اللورد موين الذى كان وزير دولة بريطانيا . ومقيما بالقاهرة لاعتقادهم أنه اشترك مع وزير المستعمرات فى اغلاق أبواب فلسطين فى وجه اليهود .

وان نسينا فلن ننسى أبدا ما حيينا مذبحة (دير ياسين) التى تعرضت لجريمة صهيونية فظيعة اقشعرت لها الابدان ، وهزت الرأى العالمى كله بلااستثناء .

ففى أثناء حرب فلسطين هاجمت عصابتا (الأرغون وشتيرن) تلك القرية الآمنة . وفاجأوا سكانها أثناء نومهم . بزرع الألغام فيها ومهاجمتها بالمدافع الثقيلة والأسلحة الاتوماتيكية فخربوا منازلها وهدموها على من فيها . ثم فتكوا بنحو مائتين وخمسين من أهلها دون تفريق بين ذكر أو أنثى .. شيخ أو طفل ،

ومثلوا فيهم ببقر البطون ، وتقطيع الأيدى والأرجل والأثداء . وفقء العيون وجدع الأنوف . وكسر الجماجم .. ثم كدسوا جثثهم فى الآبار ليخفوا معالم تلك الجريمة البشعة . ثم ساقوا من بقى من اهل القرية حيا الى القدس . وساموهم سوء العذاب ضربا وتقتيلا .. وكان الهدف من تلـــك الجريمـــة التى فاقت كل وصف : بعث الرعب والفزع فى سكان القرى العربية فى فلسطين . ليجبروهم على ترك ديارهم خشية أن يصيبهم ما أصاب أهالى (دير ياســـين) من القتل والهول .

كما لا ننسى كارثة (اللد والرملة) اللتين احتلتهما اليهود . وقتلوا مـــن سكانها عدة آلاف وتركوا الباقى يومين بدون طعام أو شراب . ثم جردوهم من كل شىء . وطردوهم من ديارهم .

ثم قامت العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ باغتيال الكونت برنادوت وسيط هيئة الأمم لأنه قال كلمته العادلة فى اعادة النقب للعرب .

وراء الجمعيات السرية :

والجمعيات السرية ايضا كانت من الهيئات التى اعتمدت عليها الصهيونية العالمية فى تنفيذ اغراضها الخبيثة عن طريق نشر افكارهم المسمومة . فقد وجهوا انشطة « جمعية فرســـان المعبد » و (جمعية الصـــليب الوردى) للنيل من المسيحية . كما وجهوا القرامطة وغيرهم من أعضاء الجمعيات المعادية للمسلمين للنيل من الاسلام . والتشكيك فى عقائده ونظمه ،

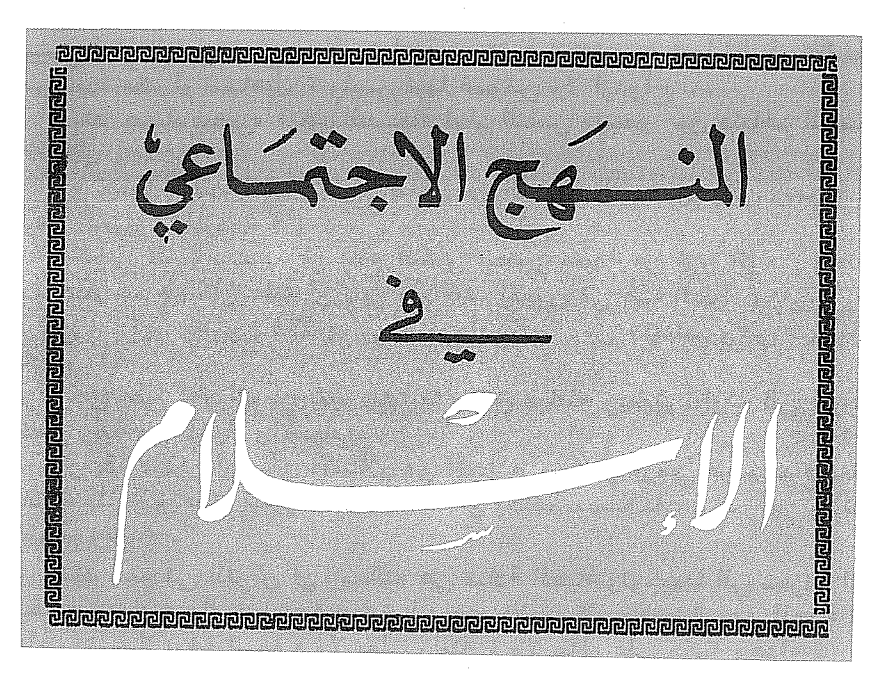
الصهيونية عدوة للسلام :

ان الصهيونية ماتزال للآن تهدر القيم . وتعبث بالأخلاق والانسانيات . وتدنس أرض النبوات وتستهين بالحضارات وذلك بما تمارسه اليوم فى العالم العربى من الاعتداءات الوحشية المتكررة على القرى والأراضى العربية من تخريب وقتل للأبرياء . والعدوان على المقدسات الاسلامية وخاصـــة حرق (المسجد الأقصى) واستباحة هذا الحرم المقدس موطئا لأقدام جنودها . واتخاذه مكانا للعربدة والسكر واقتراف الخطايا .

ولعل فى هذا كله ما يكذب ادعاءات الصهيونية المتكررة بحبها للتعايش السلمى . وبمحافظتها على حسن الجوار والمحبة والسلام .. ولعل فى هذا أيضا ما يؤكد أن الصهيونية عدوة للبشر والانسانية . وهادمة لصروح الحضـــارات ومعوقة لتقدم الانسانية ولا عجب . فقد تحدث القرآن عن اليهود بأنهم انسلخوا عن الانسانية . وفقدوا كل معانيها الكريمة . وصفاتها الجميلة . حتى انحطوا بفسادهم وضلالهم الى مستوى القردة والخنازير فقال تعالى عنهم : (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) .

ان الصـــهيونية شر مستطير وخطر داهم . وكابوس ثقيل يجثم على صدر الأمة العربية فهم قوم لا ترتاح نفوسهم الا على الاستعلاء والا ستقطاب والظلم . والحياة معهم ضرب من المستحيل .

وان على العرب جميعا أن يجابهوا هذا العدو اللئيم بكل ما لديهم من اصرار وعناد وايمان وفى شىء من التضحية والبذل والصبر والمصابرة (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .



للدكتور: مصطفى عبد الواحد

ان تحقيق المنهج الاجتماعى فى الاسلام ضرورة تفرضها طبيعة الاسلام وتفرضها مهمته فى الحياة ..

فربما كان لبعض الديانات السابقة العذر فى نأيها عن الحياة وتخليها عن المجتمع ، وقنوعها بأن تتجه الى الضمائر والقلوب داعية الى تصفية الروح وتهذيب النفس ، لا تعيش مع الناس دنياهم ولا تقيم حياتهم على أساسها ..

أو بعبارة أخرى .. تقسم الحياة الانسانية قسمين : قسم لله ، يتناول العبادات التى لاتكمل الا باعتزال الحياة ونبذ زينتها والهروب من فتنتها ، وترك الانغماس فيها .

وقسم آخر للناس ، هو الحياة الانسانية ، بأثقالها وتبعاتها ، بمشكلاتها وعقباتها ، وهذا لاينبغى أن يتدخل فيه الدين ولا أن يفتى فيه برأى ، بل يترك قيصر يصنع فى دنيا الناس ما يشاء ويتصرف كيف يريد ، ويذر الحياة كبحر هائج تصطخب فيه الأمواج ويعلو فيه الزبد فوق القمم ..

ربما كان لهذه الديانات عذر ، فهى بحكم ظروفها التاريخية وأهدافها المحدودة ، وما استقر فى ميزانها من قيم ، لاتجد ماتفتى به ، ولا ما تمسك به الزمام فى ميدان الحياة ..

الاسلام والحياة :

لكن الاسلام خاتمة الرسالات السماوية جاء ليقود الحياة ويمسك زمامها ،

وليضع أمام البشر منهاج حياة متوازنة مستقرة ، تتضح فيها نظرة متكاملة ، ليس فيها عقد أو مجاهيل ، وليس فيها غموض ولا ازدواج ..

لقد جاء ليضيء آفاق الحياة أمام الناس ويمحو من دنياهم الظلام والضلال ..

« كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ، الى صراط العزيز الحميد » (١) .

فليس في وسعه أن يدع الناس يحيون بعيدا عن نور الوحى وهداية السماء .. بل كان عليه أن يبين لهم كيف يحيون فى هذه الدنيا كما يريد ربهم ويرضى ، وكيف يقيمون علائقهم فى شتى المجالات وفق عقيدتهم وعلى أساس مبادئهم ..

كان على الاسلام ان يقيم مجتمعا يحقق مبادئه ويطبق نظرته الى الوجود ويفسر رأيه فى الحياة والأحياء ..

وبهذا لايمكن أن ينأى الاسلام عن المجتمع ، ولا أن يرضى عن مجتمع يعتمد مبادىء ظالمة ويعتنق نظريات ضالة ، أو يحتفظ بعلاقات وقيم غير علاقات الاسلام وقيمه .

فقد صح فى القرآن أن رسالته هى قيادة الحياة وتوجيهها الى معرفة الله سبحانه وعبادته والرضا بحكمه ، فما يرضى الاسلام بالانعزال عن الحياة فى أنحاء مجتمع لا يرفع شعاره ولا يعلى رايته ، ولا ينزل على حكمه وهداه .

يقول الله سبحانه :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٢) .

وهذه الآية لاتعنى أن يصير الرسول قاضيا فى مجتمعه يلجأ اليه الخصوم وينزلون على حكمه ، ولكنها تعنى أن يرتضى المؤمنون أحكام الشريعة التى جاء بها الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، وأن تتحقق الغايات وتتأكد العلائق التى أرادها الاسلام ..

وحين يحكم الرسول بين الناس فانه لا يحكم الا بما أراه الله من نور الوحى وهداه .

« إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » (٣) .

ولقد تأكد فى القرآن هيمنته على الشرائع والأنظمة ، واحاطته بالأهداف والمرامى جميعا ، اذ هو تنزيل الحكيم الحميد الذى احاط بكل شىء علما ، فلله من القدرة ما يحكم به على كل شريعة أو قانون ، ومن العلم بالحقائق والتجارب ما يدرك به كل منزع ، ويقضى فى كل جانب ويهدى فى كل سبيل ، ويقدم للناس ماهو خير من كل محاولة قاصرة أو فكر عاجل ..

فليس من العدالة أن يعزل الاسلام عن اصلاح المجتمع مع هذه القدرة الفائقة على تسيير دفة الحياة فى صواب ورشد ، وأن يقف متفرجا على مايدور حوله ، وهو فى فطرته قائد رائد ..

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ،

---

(١) سورة ابراهيم ١ .
(٢) سورة النساء ٦٥ .
(٣) سورة النساء ١٠٥ .

فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٤) .

والحق أن كل ما يعارض الوحي الالهى الصادق من الاتجاهات والفلسفات فهو هوى ونزوة تنزع بالفرد والمجتمع الى الهلاك ، ومن ثم فان على الاسلام ، وهو حامل المشعل ورافع اللواء ، أن يؤدى واجبه الاجتماعي ويقوم برسالته وينهض بعبئه ، فيغنى البشرية عن كل ماعداه من شرائع ونظم وتقاليد ..

« وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » (٥) .

★ ★ ★

غاية الاسلام :

ومن الجانب الآخر فان الغاية التى جاء الاسلام من أجلها لا تتحقق الا بتوجيهه للمجتمع المسلم ورعايته ...

اليس قد جاء لاخراج الناس من الظلمات الى النور ؟

لرفع الاصر عن المستضعفين وفك الأغلال عن المستعبدين ؟

لتحقيق الحياة الطيبة والهداية للتى هى أقوم ؟

فهو ليس عقيدة تكتفى بالاستقرار فى الوجدان ، ولا فكرة يمتلىء بها الذهن فحسب ، بل هو عقيدة تفضى الى شريعة ، وفكرة يقوم على أساسها نظام كامل يهدف الى اقامة الحياة المتوازية المطمئنة على دعائم من معرفة الله وفى ظل من رضوانه ..

فهل يمكن أن يقوم الاسلام بذلك اذا انفصل عن الحياة وغض النظر عن آلام الانسانية .

وهل يمكن أن يحقق الاسلام الطمأنينة والسلام ويأخذ بأيدى البشر الى سبيل مستقيم دون أن يهديهم فى حياتهم للتى هى أقوم .

ان الاسلام حين يحال بينه وبين تطبيق مبادئه وتحقيق غاياته الاجتماعية يصبح معطلا عن عمله مصروفا عن رسالته ..

ولا تنتظر منه حينئذ أن يثمر ثمرته ويحقق هداه .

ان للاسلام رأيه فى العلاقة بين البشر ، ونظامه فى الثروات والأموال ، ومنهاجه فى القيم والمعاملات ، وتوجيهه للشباب ، وخطته للمرأة ، وأسلوبه فى الحياة واتجاهاته فى الغايات والاهتمامات .. فهل يمكن أن نغض النظر عن ذلك كله ، ونريد من الاسلام أن يقنع بجانب الشعائر والعبادات ، ويفرح بأن تصير له طقوس ومعابد ، ثم يتجاهل رسالته الأولى ويقطع صلته باصلاح المجتمع وهداية البشر ؟

ان ذلك لا يكون أبدا وآيات الكتاب الكريم تنطق فى وضوح وحزم بأن الحياة الاجتماعية لابد أن تكون فى ظل الاسلام وعلى أساس هديه وتوجيهه ..

وذلك التزام يقبله المسلم بمقتضى اسلامه ..

---

(٤) سورة المائدة ٤٨ .

(٥) سورة المائدة ٤٩ ، ٥٠ .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (٦) .

* * *

خطة الاسلام الاجتماعية :

وانك لتجد الاسلام يعلن خطته الاجتماعية ويكشف عن صبغته ويبين عن رسالته فى هداية المجتمع وتحقيق الحياة الطيبة ، منذ أيامه الأولى ..

كان من الواضح منذ نزلت آيات القرآن أن هذا الدين يختلف فى أسلوبه وغايته عما سبقه من رســالات السماء .. وان كانت تلتقى جميعا عند معرفة الله والايمان به والخضوع له .. لكنها لم تخض المعارك الاجتماعية ولم تجىء بمنهاج ينظم مجالات الحياة ويعالج مشكلاتها ..

أما الاسلام فقد كان منذ أيامه الأولى يهاجم أوضاع المجتمع الجاهلي الفاسد ويكشف سوءاتها ويسدد ضربات قاصمة اليها ، اعلانا لخطته الاجتماعية واشارة الى أنه قد جاء ليقوض ذلك البناء المتداعى ويقيم مكانه نظامه الالهى الخالد ..

كان المجتمع الجاهلي قد فقد الأساس الأخلاقى السليم ، وفشت فيه أدواء الأثرة وبدت فيه نوازع السيطرة والاستبداد وضاعت فيه حقوق الضعاف وأهمل البائسون ..

وقد واجهت آيات القرآن فى مكة هذا الفســاد وحملت عليه فى مواقف متعددة ..

« كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لمـا وتحبون المال حبا جما » (٧) .

كذلك كان الاهتمام وكانت العلاقة فى المجتمع الجاهلى ، وقد كان بامكان الاسلام لو لم تكن اقامة المجتمع المســلم من أهدافه أن يغضى عما يسود ذلك المجتمع الجاهلى من قيم وما يحكمه من علاقات ، ويقنع بأن يسلم الناس بجانب العقيدة والعبادة فيه ، وبهذا يصبح بمأمن من العداوات التى جرها عليه تعرضه للنظام الاجتماعى ومهاجمته لأوضاعه ..

ولكنها رسالته التى كان عليه أن يحققها ويجاهد فى سبيلها ..

وفى دعوة الاســلام الى العقيدة وتوجيهه الناس الى عبادة الله لا يجنح الى الشــعائر وحدها ، ولا يرى فى مجرد قيامها تحقيقا لرسالته ولا يفرح بأن يصبح له عبادات ومحاريب وخلوات ، ويعزل ذلك عن الحياة والمجتمع وما يدور فيه من ظلم وأثرة ، ولكن القرآن يعلن وهو فى مكة أن نظرته الى الحياة شاملة ، وأنه لا يعزل الجانب الاجتماعى عن جــانب العقيدة والعبادة ، ولا بد أن تحكم الانسان وحدة الاتجاه والنظر ، وأن يصدر فى حياته عن اقتناع بالنظرة الاسلامية الشاملة فتتسق علاقته بربه مع علاقته بالناس والحياة .

فلن يرضى الاسلام عن مسلم يخلص فى عقيدته وعبادته ثم يقصر عن دوره الاجتماعى ويعيش فى فردية وأثرة ولا يشــارك فى تحقيق الطمأنينة والعدالة فى المجتمع ..

ومن هنا يعلن القرآن أن المساهمة فى اشاعة الرحمة فى المجتمع وشفاء

---

(٦) سورة الاحزاب ٣٦ .
(٧) سورة الفجر ١٧ — ٢٠ .

الآلام والمسح على الجراح وتخفيف الأحزان هو التجربة الكبرى التى يجب أن ينجح فيها الانسان ..

يقول الله سبحانه :

« فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يوم ذى مسبغة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » (٨) .

فنرى القرآن يبرز المشكلات الاجتماعية البارزة التى كان يشيعها التظالم ويضاعف من بلائها الأنانية والتكالب على المال فى المجتمع الجاهلى ، ويدفع أبناءه الى المسارعة فى تحقيق التكافل والتراحم فى المجتمع ، وبناء العدالة الاجتماعية على أسسها الراسخة ، ويجعل ذلك محكا للايمان واختبارا مؤكدا للعقيدة ..

ويكشف عن تلك النظرة ما يبرزه القرآن حين يعلن الخطايا التى أودت بالكافرين وهوت بهم فى الجحيم ، فاذا هى تشتمل على الخطيئة فى حق المجتمع والنكوص عن واجباته كما تشتمل على الكفر بالله وجحود فضله ..

« انه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون » (٩) .

وبذلك يفصح الاسلام عن غايته ، ويرسم حدوده فى الأذهان ، ان تضييع طعام المسكين كفر بالنظام الاجتماعى الذى يراه الاسلام ، قرنه القرآن بالكفر بالله ونكران حقه ..

وفى سبيل اقرار القيم الحقة للنظرة الاسلامية الشاملة ، والربط بين الجانب الاعتقادى والجانب الاجتماعى فى الاسلام ، يبادر القرآن فى مكة أيضا برسم صورة مجسمة للمكذب بالدين ، تتضح فيها النقائض الاجتماعية التى كانت تفشو فى المجتمع الجاهلى ..

يقول الله سبحانه :

« أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين » (١٠) .

ان ذلك لا يدع شكا فى أن منهج المجتمع المسلم ضرورة لابد من تحققها ، فان الآية ترسم صورة للكفران بالجزاء وانكار البعث من خلال السلوك الاجتماعى المخالف لتعاليم الاسلام وخطته ، وليس الاسلام بالذى يفرح بأن يصدق به الناس دون أن يرتبطوا به فى دنياهم ويقيموا حياتهم على أساس مثله وقيمه ..

وتكتمل هذه الحقيقة وتتسق فى بقية سورة الماعون التى نزلت فى المدينة ، فلئن كان مطلع السورة وصفا للمكذب بالدين من جانب أخلاقه الاجتماعية الفاسدة ، فان ختامها حرب على التدين الكاذب الذى يحاول الاكتفاء بمظاهر

---

(٨) سورة البلد ١١ — ١٨ .

(٩) سورة الحاقة .

(١٠) سورة الماعون .

الشعائر دون أن يصل الى الحقيقة الشاملة التى يؤكدها الاسلام ، وهى أن الدين فى حقيقته منهاج حياة وأسلوب معاملة وبرنامج متكامل لتحقيق السعادة والطمأنينة للبشر ..

فما الذى يفرق بين جانب معرفة الله وبين الالتزام بأمره فى الحياة ؟

ان العابد الذى لا يتعلم من عبادته كيف يشارك فى اسعاد الناس وكيف يلتزم بالخير فى سلوكه معهم ، عابد كذاب لا يرضى عنه الاسلام ..

« فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » (١١) .

ان السورة كلها توجيه الى الحقيقة الكبرى ، حقيقة المنهاج الاجتماعى للاسلام ، وحرب على التدين القاصر الذى يقنع بالشعائر والطقوس ..

* * *

القرآن يحارب المجتمع الجاهلى :

والذى يتتبع اشارات القرآن المكى الاجتماعية وتناوله للمفاسد والمظالم التى كانت تعج بها الحياة الجاهلية يصل الى الاقتناع بأن الجانب الاجتماعى من الاسلام من الأصالة والوضوح بحيث لا يمكن تجاهله أو الاغضاء عنه ..

ان الاسلام لم يغض الطرف عن تلك المفاسد ولم يشغله جانب العقيدة والعبادة عن توجيه الحملات الى مظالم الجاهليه ولو لم يكن لها ارتباط بجانب الاعتقاد ..

فقد كان ذلك المجتمع يقوم على الأثرة وتشيع فيه أدواؤها المريرة ولم يكن بد أن يهاجم الاسلام تلك المظاهر الاجتماعية الأثيمة ، ويقتلع الأسس الفاسدة التى يقوم عليها الترابط والتعامل ..

فهذه صورة هاجمها القرآن فى مكة ، وهى صورة قد تبدو جزئية أو فرعا مرتبطا بأصله ، لكن مغزاها الاجتماعى ودلالتها على سوء العلاقة وخبث الصلة بين الناس ، جعلت القرآن ينزل بشأنها وتسمى سورة منه باسمها ، سورة المطففين :

« ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كلا ان كتاب الفجار لفى سجين » .

فلو لم يكن للاسلام منهجه الاجتماعى الواضح ، لما كان له ذلك الاهتمام بمثل تلك المواقف ، ولترك البشر يتعاملون وفق قيمهم ورغائبهم ، أو عواطفهم واتجاهاتهم .

ولكن أى منفعة تبقى للاسلام حين يترك البشر يتظالمون ويتضاغطون ويعصف بهم الظلم والهوان ؟

ان ذلك الموقف من المطففين يؤكد أن للاسلام برنامجه الاجتماعى الأصيل ، وأنه لا يطمئن بالحياة فى مجتمع لا يعتنق منهجه ولا يحقق مبادئه .

والمغزى الواضح لتلك الحملات والمواقف الاجتماعية فى السور المكية ، أن هذا الدين قد أتى بخطة اجتماعية جديدة عليه أن يثبت دعائمها فى الحياة ،

---

(١١) سورة الماعون .

وأنه لا يتخلى فى أحرج الظروف عن هذه الغاية ، لأنه يرى أن التخلى عنها يصرفه عن وجهته ويعوقه عن أهدافه ..
ولو لم يكن قيام المجتمع الاسلامى ضرورة لابد منها لما أثار القرآن عداوات الكفار ولما أخرج أضغانهم فى هجومه على الأوضاع الاجتماعية الفاسدة وحربه للتقاليد الظالمة وفضحه للعورات الاجتماعية الشائنة ، ولقنع الاسلام بالعقائد والشعائر ، ولم يقاتل قتاله العنيف فى هذا السبيل ..

جهاد الاسلام لتحقيق منهجه :

ومضت السنون بالدعوة الاسلامية فىمكة وهى تعيش فى مجتمع يخالفها ويصد عنها ويعترض سيرها ..
فكان على الاسلام أن يمد بصره الى ماوراء مكة ويتطلع الى اقامة مجتمع جديد يصدر عن هديه ويقوم على مبادئه ويستهدف تحقيق الغايات التى جاء بها .
وما هو الا أن وجد الأنصار الذين قبلوا دعوته وبايعوا على نصرته ورضوا به على سبى الذرارى وفقد الأموال وعض الحرب والوقوف فى وجه الناس جميعا ، حتى كان على كل مسلم أن يهاجر الى المدينة ويخرج من مجتمع الكفر فى مكة ، حتى يضع لبنة فى بناء المجتمع الاسلامى ..
وسارع المسلمون الى الهجرة لا يمنعهم عنها مال ولا ولد ..
كأبى سلمة الذى حاول الهجرة الى المدينة فحال أصهاره بينه وبينها ، وقالوا له : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟
قالت أم سلمة : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه ، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة فقالوا : لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا ..
قالت : فتجاذبوا بنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينة .
قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى !
وما زالت أم سلمة حزينة باكية حتى رحموها فلحقت بزوجها ومعها ولدها .
ومنهم من تخلى عن ماله حتى يخلى المشركون سبيله ، كصهيب الرومى الذى قالوا له : أتيتنا صعلوكا فقيرا ، فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك .
فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالى اتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم قال : فانى جعلت لكم مالى .
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ربح صهيب !
وذلك يدل على أهمية الخطوة التى خطاها المسلمون بتحولهم من مكة الى المدينة ، وخروجهم من مجتمع الكفر الى مجتمع الايمان ، انها لم تكن مغامرة ولا رحلة ولا لجوءا ولا هربا ، لكنه كان بناء لمجتمع جديد على أساس عقيدة جديدة ، ولولا ذلك لقضى على الدعوة الاسلامية فى مهدها ، أو على الأقل لعاشت صدى خافتا لا يملك هداية الناس ولا يأخذ بأيديهم للتى هى أقوم .
وبلغ من حرص الاسلام على اقامة مجتمعه الجديد وحتميته فى فرض الهجرة ، أن عزل الذين لم يسارعوا الى الهجرة الى المدينة وليس هناك ما يحول

بينهم وبين ذلك ، عن المجتمع الاسلامى ، وحرم على المسلمين موالاتهم حتى يهاجروا ...

قال الله سبحانه : « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » (١٢) .

وتتابع المهاجرون الى المدينة ونزلوا على الأنصار . الذين وسعتهم ديارهم وأموالهم ، على النحو الذى سجله القرآن ، مما لا نظير له فى تاريخ الدعوات والأديان .

وكان لابد للاسلام أن يحكم الرابطة ويعمل على تأكيد الأواصر وحث الخطى فى بناء المجتمع المسلم .. فلم يدع فرصة لنزعة نحو الانفراد أو نأى عن الجماعة أو خروج عن رابطتها أو قصور عن واجباتها ...

ومن هنا كان الخطاب فى القرآن دائما يتجه الى الجماعة باعتبارها كيانا واحدا ، فى التكاليف والفرائض : يا أيها الذين آمنوا .

وذلك حتى يشعر كل مسلم أن كيانه الحق فى اطار مجتمعه وأن وجوده مقترن بوجود الجماعة التى تعينه على اتباع سبيل المؤمنين وتؤازره فى سلوك الطريق المستقيم ..

ولذلك فقد ارتبطت العبادات فى الاسلام بنزعته الى التجمع واستهدفت تأكيد الرابطة فى مجتمع الاسلام ..

فالصلاة فى أكمل صورها وأعظمها أجرا حين تكون فى جماعة ..

وليس لذلك من مغزى الا اغتباط الاسلام باعلان شعائره ورضاه عما يؤكد رباطه الاجتماعى ويحقق سعيه لتشييد صرح مجتمعه القوى .. بل يجعل صلاة الجمعة فريضة محتمة ، لتكون رباطا ضروريا يزيد الصلات ويحفظ كيان الجماعة ..

وفى تشريع الصيام كانت النظرة واضحة الى رعاية العلائق وشد الأمة المسلمة الى كيان نفسى ونظامى واحد . فارتبطت فريضة الصيام بشهر واحد وأوقات منظمة وشعائر واحدة ، تعمل عملها فى تقوية البناء واذكاء رباط الوحدة بين المسلمين ..

والى هذا المنزل أيضا اتجه الحج على نطاق أشمل وفى دائرة أرحب ، تؤكد لهذه الأمة أن ربها واحد وأن دينها واحد وأن غايتها فى الحياة واحدة .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (١٣) .

مكانة المجتمع فى الاسلام :

ويتبين لنا مما عرضناه أن الاسلام قد وضع المنهج الاجتماعى فى رسالته موضعه الأصيل ، وكان ذلك متسقا مع دور الاسلام فى حياة البشر ، اذ كان على الاسلام أن يقود الحياة الى شاطىء الطمأنينة وأن يتجه بالبشر الى السلام فى حياتهم بعيدا عن الشقاء والدمار ..

كما أن الأمد الذى تبقى فى حياة الانسانية — منذ جاء الاسلام — كان أمدا يتضح فيه دور المجتمع فى حياة الانسان ، وكانت الانسانية تخرج بسعة من دور القبيلة الى دائرة المجتمع والدولة فكان المجتمع بأنظمته ومناهجه وروابطه هو

---

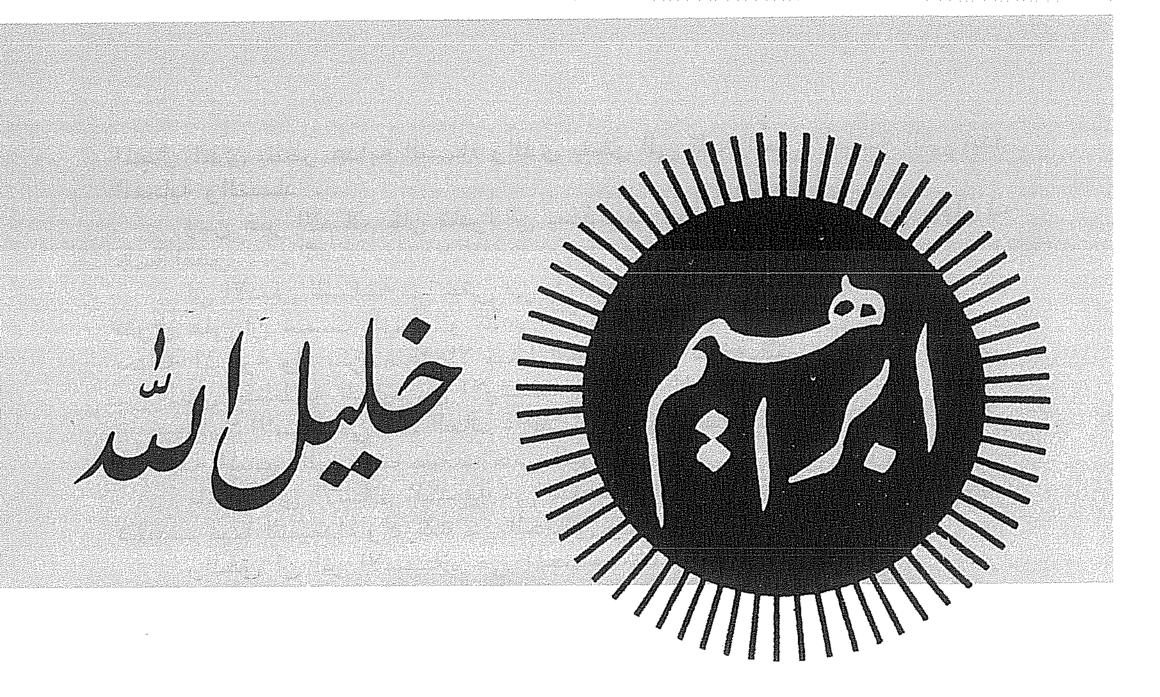
(١٢) سورة الانفال ٧٢ .

(١٣) سورة الانبياء ٩٢ .

المجال الذى ينتظر هداية السماء والذى يفتقر الى كلمة الحق المضيئة التى تبدد العماية والفساد ..
ومن غير الاسلام كان قادرا أن يأخذ بيد المجتمع الانسانى أو أن يقول له كلمة الحق ... ؟
ان الأديان السابقة بما تبقى فى يدها وبما واجهته من ظروف معنتة لم تكن تقوى على أن تمسك الزمام أو تدعى القدرة على هداية الركب الانسانى فى بيدائه الحيرة ولم يكن هناك الا بقايا الحضارات المادية التى تهتدى الى عنصر من الحق يختلط به العديد من الاوشاب والأقذاء !!
ولولا الاسلام فى ذلك العالم ، الذى بزغ فيه ، لما كان للانسانية القدرة على مواصلة المسير الى هدف صائب حتى اليوم ..
فلقد هدى الاسلام البشرية فى متاهتها وأخرجها الى آفاق رحيبة مضيئة تنفست فيها الصعداء وأدركت من الحقائق والأهداف مالم تكن تعلم ..
والحق أن أثر الاسلام فى المجتمع الانسانى — من جوانبه المباشرة وانعكاساته على السواء — من الوضوح بحيث لايجحده الا مكذب كنود .
وكان من فضل الاسلام على الانسانية أنه أقام فى هذه الحياة مجتمعا أثبت للانسان أن بامكانه أن يذوق السعادة ويشعر بمعنى هذه الحياة حين يتبع منهج السماء ويذعن لارادة خالقه فيما يهديه اليه ..
واستطاع الاسلام أن يمد جناح الحب والرحمة والطمأنينة على طول البلاد التى دخلت فيه وفرحت به واستظلت بظله ، طالما حافظت على هديه واستمسكت بمبادئه ، قرونا عديدة لم يغير أمرها بعد ذلك الا نبذها لتعاليمه وغنتنها عن هداه نتيجة لمكر الكافرين وخطط الجاحدين فى عصرنا المادى الذى نعيش فيه ..

الاسلام والمجتمع فى العصر الحديث :

والحق أن خطة الاسلام الاجتماعية لم تكن فى عصر ألزم له وأهم من هذا العصر الذى نعيش فيه ! ؟
انه عصر النظم الاجتماعية والبرامج المتكاملة التى يخايل بها المزورون الانسانية والتى يدعون بها أنهم توصلوا الى الحل الناجع لمشاكل الانسان وأحاطوا حقا بدائه ودوائه ...
ورغم أن الليالى تفضح البهتان وتكشف الزيف الا أن احكام الدعاية وبهرجة المنطق ربما تفتن المخدوعين وتلعب بأحلامهم الصغيرة فيتصورون فى خيالهم جنات زاهية وقصورا مزدهرة وراء تلك الدعايات الاجتماعية الزائفة ، وهى فى حقيقتها لا تسلم الا الى سجون كريهة وسفوح منتنة كما هو مشاهد فى الغرب المادى .
فكيف يقف الاسلام اليوم فى المجتمع الانسانى صامتا بينما يتكلم الافاكون ويفصح الدجالون ..
وكيف يوارى الاسلام منهجه الاجتماعى ويخفى حلوله أو يئدها بينما الشياطين تتخطف الناس الى أوديتها السحيقة وتهوى بهم الى المهالك ؟
ان الذين يطلبون من الاسلام اليوم أن يكتم بعضه وأن يبتر شطره الاجتماعى ، ويقنع بأن يحيا دين اعتقاد وشعائر ، انما يريدون من الاسلام أن يتخلى عن رسالته وأن ينصرف عن غايته التى جاء الى هذه الحياة من أجلها ..
وهذا مايأباه الاسلام بطبيعته ، ويأباه دوره فى حياة الانسان ..



أي يوم للعلا ، أشرق بى — أنا منه فى خيال عجب ؟
هذه الوثبة من تاريخنا — تربط العرب بمجد العرب
فأعدوا ما استطعتم قوة — فهى اليوم سبيل الرهب
ان للمدفع صوتا راعدا — طالما أيد صوت الكتب
سلحوا الأشبال بالايمان ، والبأس ، والعلم ، وحسن الأدب
هو ذا اليوم الذى يربطنا — بشباب من كرام النسب
قد وعى التاريخ من سيرتهم — ما وعاه فى أبر الكتب
اننى أذكر منهم فارسا — وفتى كان أبا للعرب
فادع فتيان الحمى كى يأخذوا — عن نبى للهدى ، وابن نبى
عرك الخطب ، واذ ناجزه — جاءه النصر بأقوى سبب
من كابراهيم اذ حفت به — عصبة الشر ، وأهل الريب
انه نعم الفتى يوم مضى — يعجز القوم بقول عجب
أإله ذاك ، أم ذا صنم ؟ — ما يعى رأسا له من ذنب
إنما الله إله واحد — كيف نستهدى بدين كذب ؟!
كان للشرك لواء خافق — عقدوه فوق هام النصب
كيف يغدو دونه ذاك الفتى — مسرفا فى غيه ، واللعب ؟!
إنه يدعو الى نبذ الذى — قدسوه ، يا لهول الطلب
قف معى ، والقوم فى سكرتهم — والفتى ينسل خلف الحجب
هرول الشيطان مجنون الخطى — أسحم الوجه كليل المخلب
وحثا الترب على هامته — وهو مزور بنار الغضب
كان إبراهيم يدعو ربه — بولاء الخاشع المقترب
يجمع العزم ، ويهوى بالتى — مزقت شمل ضحايا القرب
حطم الأصنام لم يترك سوى — كابرا منها عريض المنكب
علق الفأس على كاهله — عله إن يسألوه يجب

قف معي .. والقوم في سكرتهم ..

للأستاذ : محمد هارون الحلو

ذهل القوم ، وقد روعهم ... زلة الرأى ، وفقد السلب
واستطار اللب منهم ، وغدوا ... بالفتى بين القنا ، والقضب
وسنا البرهان من منطقه ... يعجز القوم ، فما من معتب
اسألوهم إنهم آلهة ! ... كيف لا تدفع بأس النوب ؟!
يا لابراهيم فى إيمانه ... وهو فى المحنة سامى المأرب
لم يكن ذاك الفتى فى رهبة ... إنما الغى حليف الرهب
صدق العقل بما جاء به ... وأبوه منه لم يستجب
ومضى النمرود فى قصته ... وهو يدعو قومه عن كثب
حرقوه ، وانصروا آلهة ... واجعلوه طعمة للهب
يا لابراهيم يغدو باسما ... وله هالة وجه الكوكب
جاء نصر الله ، فانقاد له ... فى ضحى الحق حماة الشغب
قم معى نصعد رءوس الحقب ... حيث دين الله عالى الطنب
حيث ابراهيم يدعو ربه ... رب ، وابعث فيهم خير نبى
واسمع اللحن سماوى الصدى ... وهو بالبشرى سنى الموكب
أيها الغادى اتئد إنا على ... مرفأ النور بحلم أعذب
نحن فى جلوة عيد المصطفى ... النبى الهاشمى العربى
خصه الله بدين قيم ... واجتباه ، وهو نعم المجتبى
جاء بالقرآن نورا ، وهدى ... فى بيان قدسى عجب
لم يكن شعرا ، ولا سحرا ، ولا ... من كهانات دعى أكذب
إنه الحق الذى أرسى به ... أحمد المختار دين العرب
وامض بالتاريخ فى موكبه ... هل ترى من ناصح ، أو معتب ؟
أين فرسان شداد نهضوا ... لدفاع الشرك ، من كل أبى ؟
هذه القصة من تاريخنا ... قصة المجد ، ودرس الغلب
نبعث الفتيان من أشبالنا ... فى هداها ، وهى أسنى مذهب



قانون التفرغ للبحث العلمي

خطر الثنائية بين العلم والعمل

للدكتور : عماد الدين خليل

لم يترك عمر بن عبد العزيز ميدانا من ميادين العمل والكفاح الا أدلى بدلوه فيه : (رسم المشاريع ، وحدد الخطط ، وأشار الى الأهداف ، وسار بما يحيط به من امكانيات أمة متحضرة ، فتية ، حثيثا صوب تلك الأهداف ... ان الشخصية الايجابية الفعالة للمسؤول المسلم تتبدى ــ هكذا ــ واضحة فى خلافة عمر ، انه يريد أن يطبع كل ميدان بصبغة الله ، وان يشد كل فاعلية الى مصادرها الأصيلة من القرآن والسنة ، وان يرسى أسس الدولة ألاسلامية وحضارتها على قواعد العقيدة التى تقوم على شهادة لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

وها نحن معه ، لحظات ، وهو يعمل مع أحبار الأمة ومربيها ومعلميها فى ميدان التربية والتوجيه والتثقيف ، ودائما ننطلق مبتدئين بوجوده هو ، فتلك هى القاعدة التى أكدها الرسول عليه السلام طيلة ثلاثة عشر عاما من عمر الدعوة : ان يبدأ الانســـان ثورته من الداخل ، ان يقوم بعملية تغيير باطنى سماه الرسول الجهاد الأكبر ومن ثم يجىء الانقلاب على القيم والأوضاع والقيــود الخارجية .. وسيرى هذا الانسان آنذاك كيف ستؤتى ثورته أكلها ، وكيف سيشـــهد التاريخ انقلابا تتوازن فيه القيم الخارجية والباطنية على السواء . وكيف أن الثورة الأصيلة فى كل ميدان ــ هى تلك التى تقوم على ما يمكن أن نسميه (التغيير الداخلى ــ الوجدانى) اذ أن أية ثورة لا تقوم الا على الفراغ ، وعلى ارادة التحطيم الخارجى فحسب ، سوف تنتهى بالفشل لأن الله ســبحانه : (لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

وما كان لعمر اذن — هنا فى ميدان ، التربية والتثقيف ، الا أن يبدأ عملية التغيير العظيم هذا فى نفسه أولا ، بمعنى آخر : ان يكون مثقفا كى يمارس التثقيف ، وأن يكون القدوة الحية الصالحة كى يمارس التوجيه .
ونستطيع الآن ان نخمن ماذا يمكن أن يحدثه أى توجيه تربوى يمكن أن يمارسه عمر تجاه أمته ، بل تجاه أمم الأرض وقادتها وحكامها ، قال البلاذرى فى فتوح البلدان : « .. كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك الهند يدعوهم الى الاسلام والطاعة ، على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه ، فأسلموا وتسموا بأسماء العرب » ونضيف الآن رواية الطبرى حيث يقول : « كان الوليد بن عبد الملك صاحب بناء ، واتخاذ مصانع وضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع ، فولى سليمان بن عبد الملك فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضا عن التزويج والجوارى، فلما ولى عمر بن عبد العزيز ، كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وراءك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ومتى ختمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ ! » .
ولنا أن نتصور — بعد هذين الشاهدين — الدور الكبير الذى لعبه الخليفة القدوة فى حياة الناس الذين عاصروه ، انه استطاع عن طريق انتصاره ، لا ان يكسب حكاما وشعوبا الى الاسلام فحسب ، بل — وهذا هو الانتصار الحقيقى — ان يعيد الأمة الاسلامية نفسها الى تجربتها الروحية والفكرية ، والى ارتباطها الجماعى الدائب — عبر الايام والليالى — بالله : صلاة وصياما وتلاوة قرآن ، وذكرا لله قياما وقعودا ، وتفكيرا فى خلقه ، وايمانا حيا ، دفاقا فى وجدانهم يتفجر عن هذا الاتصال المستمر بالله وملكوته .
وتلك هى القاعدة — أو الخلفية — التى هيأت للأمة الاسلامية فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين أن تصنع المستحيل ، وان تنتقل بمدنية العالم خطوات الى الأمام ، بعد أن صبغتها بصبغة الله ، ورفعت فوقها راية (لا اله الا الله) .
ولنا الآن ان نعرف شيئا عن عمر (المثقف) لكى نستعرض بعض مشاريعه ومنجزاته فى هذا الميدان . (لقد هيأت الظروف لعمر ، مذ كان طفلا يرعاه ابوه عبد العزيز بن مروان امير مصر ، أوضاعا ممتازة للتعلم والتثقيف ، وكان هو قد أعرب عن حرصه على العلم وحبه للأدب منذ تفتح وعيه للحياة » (١) . فقد عكف منذ صباه — وهو بعد فى مصر — على مجالسة الصحابة ورواة الحديث ، والاستماع الى الشعر والأدب ، حتى قيل أن مجلسه كان ندوة للفقهاء والعلماء والأدباء . وحفظ القرآن وهو بعد صغير . ثم ما لبث أبوه ان أرسله الى المدينة المنورة لطلب العلم ، فتفقه فى الدين ، وروى الحديث ، وعكف على دراسة الأدب ونظم الشعر (٢) كما قام باتصالات عديدة بشيوخ المدينة ، تمكن عن طريقها ان يبلغ شأوا بعيدا فى ميادين الفقه والحديث (٣) .
ظل عمر بن عبد العزيز يعمل فى هذا الميدان ، وينهل من موارد المعرفة الاسلامية : قرآنا وتفسيرا ، وفقها وحديثا وعقائد وتشريعا ، حتى بلغ من علو كعبه واستبحاره فى العلم ان قيل : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة (٤) ، وحتى قال الذهبى عنه فى تذكرة الحفاظ (كان عمر يقرن بالزهرى فى علمه (٥) وقال مجاهد (أتينا لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه) (٦) وقال ميمون بن مهران (كان عمر معلم العلماء) ، وقال رجاء بن حيوة : (ما رأيت أفصح من عمر بن عبد العزيز) وقال أحد عماله : (ما التمسنا علم شىء

الا وجدنا عمر أعلم الناس بأصله وفرعه) ويبلـــغ من تقدير الامام أحمـــد بن حنبل لعمر أن يقول عنه : (لا أدرى قول أحد مـــن التابعين حجة الا قول عمر) ويحكى الليث كيف ان أحد أصـــحابه رأى سليمان بن يسار خارجا من عند عمر فسأله : أمن عند عمر خرجت ، قال : نعم قال : تعلمونه ؟ قال : نعم . قال : هو والله أعلمكم .

ولولا الخلافة وتكاليفها لكان عمر قد قطع خطوات واســعة أخرى فى هذا الميدان ، ولأصبح من العلماء المعــدودين والفقهاء المشـــهورين وما أن تــولى عمر أعباء مهمته كخليفة للمسلمين حتى بدأ بتحويل مركز حكمه الى ساحة يجتمع فيها علماء الامة وأحبارها وربانيوها ، وأبعــد كل الشعراء المرتزقة الذين كان البلاط يعج بهم . ومن ثم راح يبذل نشاطا واسع النطاق فى هذا الميدان ، أبرزه تلك العناية العظيمة التى أولاها (علم الحديث) الذى يمثل السند اليقينى الثانى ــ بعد القرآن الكريم ــ لعقيدة المسلمين وشريعتهم ووجودهم . يقول ابو الحسن الندوى : أراد الله سبحانه أن يكون لعمر فضيلة السبق فى هذا الميدان كما كان لجده العظيم ــ عمر بن الخطاب ــ فضيلة السبق لجمع القرآن فانه رضى الله عنه هو الذى أشار على أبى بكر بجمعه . وقد كتب عمر بن عبد العزيز الى أحد كبار علماء الحديث وأوعية العلم فى عصره : أبى بكر بن محمد بن حزم : (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاكتبه ، فانى خفت درس العلم وذهاب العلماء) وأشار عليه بالعناية الخاصة بمجاميع عمرة ابنة عبد الرحمن الانصارية وقاسم بن محمد بن أبى بكر ، لأهميتهما ، ولم يكتف بأبى بكر بن حزم ، بل كتب الى عماله فى الاقاليم (انظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه) ، وأصدر منشورا يأمر فيه أهل العلـــم أن ينشروا العلم فى مساجدهم (فان السنة كانت قد أميتت) .

من ثم سيظل المسلمون يدينون لعمر بن عبد العزيز فى هذا الميدان العظيم حيث أقبل على تدوين العلوم الاسلامية المتمثلة بالحديث ، بعد أن تعرض للضياع لانصراف الناس الى السياسة والادارة والحروب .

لم يكن عمر بالانسان الذى تستهويه المشاريع الكبرى فيقف عند مشارف الخيال لا يتعداه .. بل هو ــ بما عرف عنه من عملية ايجابية ــ سرعان مايحيل الخيال العريض هــذا الى واقع يشهده التاريخ : فيمهد له الظروف ويحيطــه بالضمانات العملية ، ويهيىء له من الاسباب ما يجعله يستحيل حركة مشهودة . وها هو فى مجال هام كهذا ، يضع ما يسمى اليوم بـ (قانون التفرغ) حيث تتولى الدولة كفالة عدد من العلماء والمفكرين كى تتيح لهم التفرغ الكامل لانجاز المشاريع الفكرية التى يعكفون عليها اختيارا أو بتوجيـــه من الدولة .. فيجرى الارزاق على علماء الحديث والجمع هؤلاء ، ويرتب لهم الرواتب ليتوفروا على نشر العلم ويكتفوا مؤونة الاكتساب . فكان يمنح من بيت المال مبلغا قدره مائة دينار لكل من انقطع الى مسجد جامع فى أى بلد اسلامى لغرض التفقـــه ونشر العلم ، وتـــدريس القرآن وتـــلاوته وكتب الى والى حمص (انظر الى القـــوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه ، وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا ، فاعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ماهم عليه ، من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابى هــذا ، وان خير الخير أعجله والســلام) وفى رســـالة أخرى لوالى حمص يزيد الخليفة مشروعه هذا توضيحا فيقول : (مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئــلا يشغلهم شىء عن تلاوة القرآن ، وما حملوا من الاحاديث) . كمـــا قام عمر بارســـال يزيد بن أبى مالك والحارث بن محمـــد

الى البادية ليعلما الناس السنة وأجرى عليهم الرزق ، فقبل يزيد ولم يقبل الحارث وقال : ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجرا . فذكر ذلك لعمر فقال : (ما نعلم بما صنع يزيد بأسا ، وأكثر الله فينا مثل الحادث) وقد عبر عمر بهذا الجواب عما يجب أن يتحلى به الحاكم المسلم من مرونة فكرية وعدم جمود على الاشكال ، فأعلن أن أخذ الاموال لقاء الخدمات العلمية أمر لا بأس به ، وسأل الله — من جهة أخرى — أن يكثر من أمثال أولئك الذين يتبرعون بهذه الخدمات مبتغين أجر الله وحده !!

ونشهد موقفا آخر من المواقف التى تعبر عن هذه المرونة الفكرية عندما استدعى عمر الى دمشق عامله على خراسان لدى سماعه أنباء تشير الى عدم التزام هذا العامل بالعدل الكامل مع أهل خراسان . فأسرع هذا بمغادرة ولايته تنفيذا لأمر الخليفة . وعندما وصل دمشق ، ووجد الخليفة على وجهه سيماء التعب والاجهاد ، سأله : متى خرجت ؟ أجابه : فى شهر رمضان ، فرد عليه الخليفة : قد صدق من وصفك بالجفاء !! هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج ؟ ثم لنتأمل معا قوله : (ما يسرنى لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا ، لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة !!)

لم تشغل أعباء الخلافة عمر عن توجيه الاهتمام الكافى شخصيا فى هذا الميدان ، فهو لا يكتفى بتوجيه العلماء الى أداء المهام الاساسية ، وتهيئة الظروف العملية لانجاز هذه المهام ، بل يسهم بنفسه فى تقديم معطياته الثقافية للأمة الاسلامية بشتى فئاتها : فيعقد مجالس الحديث ، ويروى عن المحدثين الثقاة من التابعين : أبيه وأنس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب وابن قارظ ويوسف بن عبد الله بن سلام وعامر بن سعد وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبى بكر ابن عبد الرحمن والربيع بن سمرة وآخرين . وينقل عنه الحديث علماء كبار من التابعين كالزهرى ومحمد بن المنكدر ويحيى بن سعيد الانصارى ومسلمة بن عبد الملك ورجاء بن حيوة وآخرين .

ويقوم بجمع الاحاديث الموثوقة المسندة ، وتدوينها فى (مسند) يعرف حتى اليوم باسمه . ويبعث برسالة الى عماله يوصيهم فيها بالاحتياط فى تنفيذ العقوبات ويشرح لهم نظام التعزير الاسلامى ، ويكتب الى أحد عماله (ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، فمن استكملها استكمل الايمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وان أمت فما أنا على صحبتكم بحريص) ، وكان يقتطع من أوقات راحته فى الليل ساعات لاقامة الندوات العلمية وفتح باب النقاش الحر الذى أدرك — عمر — كم هو حيوى للتوصل الى الحقائق المجردة ، وقد أعرب عن ادراكه العميق لما ينتج عن التقاء الافكار من نتائج فكرية ايجابية ، عندما سأله رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ، نهارك كله مشغول ، وهذا جزء من الليل وأنت تسمر معنا ؟! فيجيئه الجواب من معلم العلماء : يا رجاء ان ملاقاة الرجال تلقيح لأوليائها ، وان المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة ، لا يضل معهما رأى ، ولا يفقد معهما حزم) .

(وجدت ملاقاة الرجال تلقيح لأوليائها) !! لقد أصاب عمر كبد الحقيقة : ان صدام الافكار بالافكار ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وتقابل البرهان بالبرهان ، يحرك الفكر ، ويعمقه ، وفوق هذا وذاك يحدث لقاحا فتمخضا عن مزيد من الافكار .

أدرك عمر المثقف ، المسؤول ، قوة الكلمة ، وانها اذا ما انبثقت عن قلب

يتفجر بالايمان ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، غدت أعظم نفعا وأكثر فاعلية من كثير من الوســـائل الاخرى التى يتوسل بها المرشـــدون لتوجيه الناس صوب ساحات الخير واليقين .. وكتب الى القرطبى — أحد علماء الامة — يقول (ان الموعظة كالصدقة ، بل هى أعظم أجرا وأبقى نفعا وأحسن ذخرا ، وأوجب على المرء المؤمن حقا . لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها فى هدى رغبة ، خير من مال يتصدق به عليـــه ، وان كان به اليه حاجة .. ولئن ينجو الرجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر . فعظ من تعظـــه لقضاء حق عليك ، واستعمل نفسك حين تعظ !! ولكن كالطبيب المجرب العالم الذى قد علم أنه اذا وضع الدواء حيث لا ينبغى أعنته وأعنت نفسه .. واعلم أنه لم يجعل المفتاح على الباب لكيما يغلق فلا يفتح ، أو ليفتح فلا يغلق ، ولكن ليغلق فى حينه ويفتح فى حينه) .

كما أدرك عمر حقائق جديرة بالاعجاب فى ميدان التربية . التربية التى تسعى الى تكوين طفل مسلم ، موحد الذات والاهداف غير منقسم على نفسه بين القول والعمل ، أو بين الواقع والمثال، طفل ينمو ويكبر وهو يمشى ، ان قراءة القرآن والتشبع بأدبه ترتبط ارتباطا شرطيا بركوب الخيل والتراشق بالنبال ، وان الفطام — منذ هذه المرحلة — عن الترف والملذات والملاهى هو الذى يخلق الرجال . وتلك — لعمرى — أهداف ارتدت عنها خائبة جل البرامج التـــربوية الحديثة .

ولنقرأ معا كتاب عمر الى مؤدب أولاده : « .. انى اخترتك على علم منى بك لتأديب ولدى ، فصرفتهم اليك عن غيرك من موالى وذوى الخاصـــة بى . فحدثهم بالجفاء فهو أمعن لاحترامهم ، وترك الصحبة فان عادتها تكسب الغفلة ، وقلة الضحك فان كثرته تميت القلب . وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان .. فانه بلغنى من الثقات من أهل العلم ان حضور المعازف واستماع الاغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب الماء .. وليفتتح كل غلام منهم بجزء من القرآن ، يتثبت فى قراءته ، فاذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج الى العرض حافيا ، فرمى سبعة أرشـــاق ثم انصرف الى القائلة ..) .

● ● ●

ان أبرز ما يلاحظ فى رسائل عمر المتتالية الى ولاته وموظفيه ، هو التأكيد على ربط العلم بالعمل . فلا عمل بلا علم ، ولا علم بلا عمل . فهذا هو المفهوم التربوى الذى جاء به الاسلام ، وكرس القرآن والرسول من أجله عددا كبيرا من الآيات والاحاديث . وتلك هى ميزة الاسلام عن سائر المبادىء الوضعية التى تعانى ثنائية وازدواجا فى طبيعة العلاقة بين العلم والعمل . هذه الثنائية التى تتبدى فى دراساتهم ومشاريعهم النظرية ، وفى واقعهم العملى .. فهنالك دائما جدار فاصل بين المذاهب وبين الاعمال . والذى يقرأ معطيات الوضعيين الفكرية والفلسفية منذ عهد أفلاطون وحتى العصر الحديث يلاحظ هذه الثنائية وما من شك فى أن هذا الانفصال أمر محتم فى كل مبدأ لا يخاطب كينونة الانسان ، ولا يتعامل مع واقع الحياة ، ولا يرسم الخطوات الحصيفة لربط الاسباب بالمسببات والافكار بالاعمال . ان جانبا من أهم جوانب اعجـــاز الاســـلام ربما انه مبـــدأ الهى — هو هذا الاتصـــال الطبيعى ، العفوى بين التوجيه والتنفيذ ، أو بين

العلم والعمل . لأن الله — الذى هو سبحانه ادرى بخلقه — كان يخاطب فى رسالاته دائما فطرة الانسان وكينونته ، لا جانبا واحدا منه فحسب . وكان — سبحانه — قد هيأ لمبادئه كل امكانات التعامل مع الواقع البشرى للتسامى به الى الآفاق التى شهدها دائما تاريخ الأنبياء والمؤمنين . وقد أدرك الأنبياء ، ومن بعدهم خلفاؤهم وتلاميذهم ، ان اخطر ما يمكن أن يصيب اتباع ديانة من الديانات هو ايجاد هذا ألانفصال الخطير بين العلم والعمل ، وخلق هذه الثنائية بين التوجيه والتنفيذ . لأن ثنائية كهذه — مهما كانت درجتها — كفيلة بتجميد فاعلية المبادىء الاساسية للأديان من جهة ، وتمزيق وحدة الذات الانسانية من جهة أخرى ، بحيث لا تغدو قادرة أبدا على التوحد واعادة الانسجام والأخذ عن المبادىء السابقة . هذا ما حدث لبنى اسرائيل ، ولكثيرين غيرهم من اتباع الديانات . فضلا عن ان ثنائية كهذه امر محتم بالنسبة لكل المبادىء الوضعية التى تقع دائما فى خطأ اهمال الانسان كانسان ، ومخاطبة جانب واحد منه فحسب . ومن ثم تفقد أية قدرة على تربيته وتحريكه . ومن جهة أخرى فان من الامور المسلم بها ان العمل ، دون قاعدة علمية توجيهية ، لا يأتى بأية نتيجة جدية . وهذا العمل ، وان كان يتسم احيانا بطابع الشعبية والجماهيرية الا ان نتائجه تأتى دائما كالزبد الذى يخدع فورانه الظاهر كثيرا من الناس . ثم انه سرعان ما يذهب جفاء ولا ينفع الناس !! وتلك هى حركات الفوضى العديدة التى شهدها التاريخ ، والتى انبثقت عن اعمال مرتجلة لا تستند الى أية قاعدة توجيهية أو علم . . كيف انطلقت كمياه الفيضان الجارفة التى تحطم السدود ، وتسحق فى طريقها كل عناصر الحياة والنماء ، وتنشر الموت والدمار والخراب . ثم ما تلبث أن تبتلعها أغوار الأرض ، وتمتصها أشعة الشمس المحرقة ، فلا تنكشف — بعد ذلك الهدير — الا عن أراض تتحدى ارادة الدمار والتخريب عن غير علم ، وتنتظر الايدى العاملة التى تعرف كيف تستنبتها وتنشر فيها الخضرة والحياة .

وها هو عمر بن عبد العزيز ، يحذر الامة الاسلامية ، ومسؤوليها ، من خطأ الوقوع فى هذه الهاوية ، فيبعث برسائله المتتالية ، مندداً ، محذرا ، طالبا الالتزام الكامل بالتوحد بين العلم والعمل . يكتب الى عامله على خراسان : (ان العلم والعمل قريبان !! فكن عالما بالله عاملا له ، فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا) وفى رسالة أخرى له يقول : (اما بعد : فاعمل عمل رجل يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين) ويعلن (ان من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح !! ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه) ويعمم رسالة على عماله يحثهم فيها على اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه .

وعمر ، فى توجيهاته وأوامره تلك لعماله وموظفيه ، يريد أن يجعل من كل واحد منهم (القدوة الحية الصالحة) فى الاقليم الذى يشرف عليه ، كى يقتدى به مواطنو ذلك الاقليم . كما يريد منهم تحويل الاجهزة والامكانات الادارية التى بأيديهم الى وسائل تربوية تستهدف الربط الدائم ، والمراقبة المستمرة ، لتحقيق مفهوم التوحد بين العلم والعمل .

ورسائل أخرى كثيرة — لا مجال لعرضها — فى ميادين توجيهية وتثقيفية شتى ، كان عمر يصدرها الى كل الجهات ، فضلا عن رسائله فى ميادين الحرب والسياسة والادارة والاقتصاد ، تتكشف كلها عن شيئين اساسيين . أولهما : ثقافة عمر الواسعة ، وذكاؤه الفذ ، وادراكه العميق لأساليب التعليم والتربية والتفكير . وثانيهما : حرصه العجيب على خلق أجواء ثقافية حرة ، وحركة علمية

دائبة ، وحوار فكرى متصل بين كبار مثقفى الامة وعلمائها وفقهائها ، تلك الاجواء التى جعلت عصر عمر — الذى لم يتجاوز السنتين والنصف — يعج بعدد كبير من أبرز العلماء والفقهاء والمفكرين . عدد لم يشهد مثيلا له ، كثرة وتركيزا ، أى عصر آخر مهما طال . واليكم بعض الأسماء : خارجة بن زيد بن ثابت ، يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، ابو سلمه بن عبد الرحمن ، سـالم بن عبد الله بن عمر ، القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، محمد ابن كعب القرظى ، عاصم بن عمر بن قتادة ، نافع مولى عبد الله بن عمر ، سعيد ابن يسار ، محمد بن الحارث التيمى ، عبد الله بن دينار الزهرى ، وعبد الله بن أبى بكر ، عطاء بن أبى رباح، مجاهد بن جبير ، عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، الشعبى ، سـالم بن أبى الجعـد ، حبيب بن أبى ثابت ، عبد الملك بن ميسرة الهلالى ، ابو اسحق السبيعى ، الحسن البصرى ، ابن سيرين ، ابو قلابة عبد الله بن يزيد ، عبـد الملك بن يعلى الليثى ، زيد بن نوفل ، علقمـة بن عبد الله المزنى ، رجاء بن حيوة ، مكحول الدمشقى ، راشد بن سـعد ، سـليمان بن حبيب المحاربى ، ميمون بن مهران ، يزيد بن الأصـم ، ابو قبيل المعافرى ، طاووس اليمانى !!

لم يأخذ الزهو عمر بن عبد العزيز يوما ، وهو معلم العلماء ، فيسعى الى استغلال منصبه ليظهر أمام هذا الحشد العظيم من العلماء ، واقفا على القمة .. وحاشاه .. ان رأيه كان ينصب دائما على أن يكون معهم .. مع ابناء الأمة التى يرعاها فى شتى المجالات .. فى ميدان الحرب والسياسة كان عمر مع الجندى ومع المعارضة !! وفى ميدان الادارة كان عمر مع أبناء الولايات حتى لو تاخمت بلادهم حدود الصين أو انتثرت على سـفوح البيرنيه .. فى ميدان الاقتصاد والاجتماع مع المظلومين والفقراء والبائسـين حتى يرفعهم الى الكفاية . وها هو — فى هذه الساحة — عالم من العلماء ، واحد منهم ، يأخذ منهم ويعطيهم ويجتمع بهم اجتماع الرفيق برفاقه ، والند بأنداده .. كان رضى الله عنه يعلم أن هؤلاء العلماء هم رءوس الأمة المفكرة ، ومخططو برامجها العقائدية ، ورواد شرفها وامتيازها وتفردها على الأمم . ومن ثم فان المكانة والتقدير التى حظى بها كل منهم ، بلغت فى عهد معلم العلماء شـأوا بعيدا .. ونحن اذ نؤكد هذه الحقيقة ، نورد هذا الكتاب ، من بين عدد من الكتب والتأكيدات ، لنختتم به — فى نفس الوقت صفحة مشرقة من خلافة الخليفة المعلم الى عدى بن ارطاة — عامله على البصرة : (انك لن تزال تعنى الى رجلا من المسلمين فى الحر والبرد يسألنى عن السنة كأنك ، انما تعظمنى بذلك !! وايم الله لحسبك بالحسن (البصرى) . فاذا اتاك كتابى هذا فسل الحسن لى ولك وللمسلمين .. فرحم الله الحسـن فانه من الاسلام بمنزل ومكان ، ولا تقرئنـه كتابى هذا !!) . وتلك هى قمـة التواضع التى ما بلغها يوما علماء الارض ومفكروها .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٣/٩ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ٣٢٥/١ .

(٣) على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٣٠٨ .

(٤) حسن ابراهيم حسن : المصدر السابق ٣٢٥/١ .

(٥) تذكرة الحفاظ ص ١٠٦ .

(٦) المصدر السابق ص (١٠٦) .

وثيقة إسلام جورج

جرت فى موقعـــة اليرموك محاورة طريفة بين خالد بن الوليد ، وبين جـــورج بن تيودور ، وهو نصرانى رومى .

نادى جورج : ليخرج الى خالد . فخرج خالد حتى التقى بـــه بين الصفين . .

فلما أمن كلاهما صاحبه قال جورج : يا خالد أصدقنى ، ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، ولا تخـــادعنى فان الكريم لا يخـــادع المسترسل .

باللـــه هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء ، فأعطاكـــه فـــلا تسله على قـــوم الا هزمتهم .

قال : لا !

قال : فبم سميت سيف اللـــه .

قال : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه ، فدعانا ، فنفرنـــا منه ، نأينا عنه جميعا ، ثم أن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنـــا باعده وكذبه ! فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتلـــه ، ثم ان اللـــه أخذ بقلوبنا ونواصينا فهـــدانا به فتابعناه .

فقال : أنت سيف من سيوف اللـــه سله الله على المشركين ودعـــا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين .

قال : صدقتنى .

ثم أعاد اليه جورج : يا خالد أخبرنى الام تدعونى .

قال : الى شهادة أن لا الـــه الا اللـــه وأن محمـــدا عبده ورسوله، والاقرار بما جاء به من عند الله .

قال : فمن لم يجبكم ؟

قال : فالجزية ، ونمنعهم : أى نحميهم من أعدائهم .

قال : فان لم يعطها ؟

قال : نؤذنه بحرب ثم نقاتلـــه .

قال : فما منزلة الذى يدخل فيكم ، ويجيبكم الى هذا الامـــر اليوم ؟

قال : منزلتنا واحدة فيما افترض اللـــه علينا : شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جورج : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لـــكم من الاجر والذخر ؟

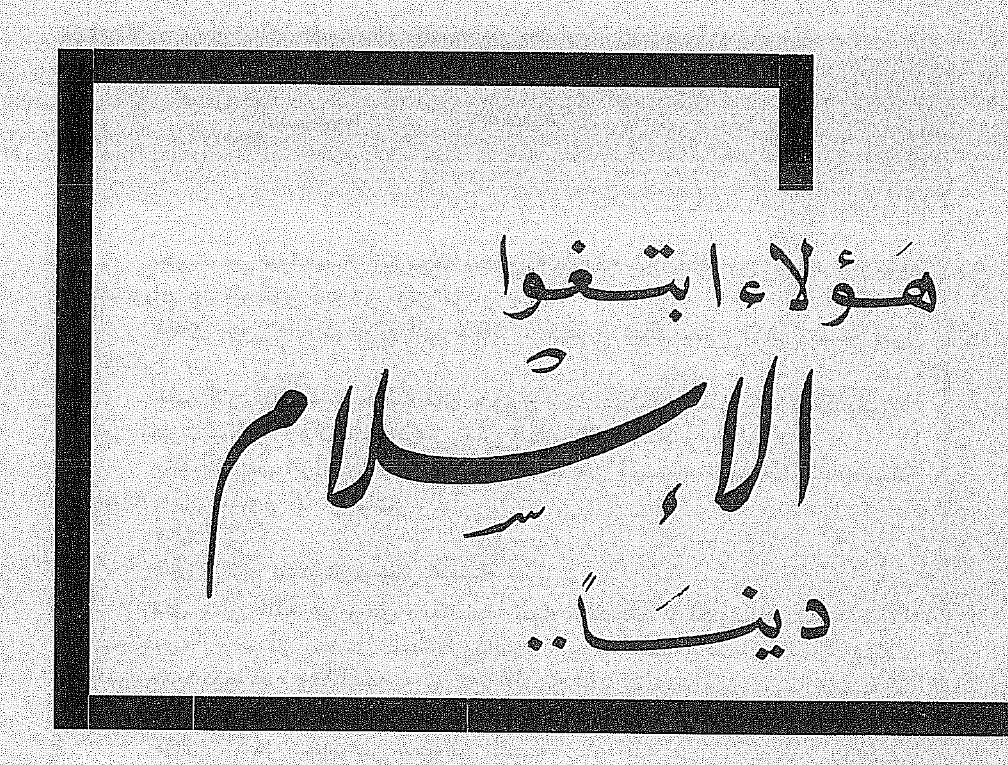
قال : نعم وأفضل . . !

قال جورج : باللـــه لقد صدقتنى . ولم تخادعنى ، ولم تتألفنى .

قال : باللـــه لقد صدقتك ، وما بى اليك ولا الى أحد منكم وحشة ، وان اللـــه لولى ما سألت عنه !

فقال : صدقتنى ، وقلب الترس ومال مع خالد وقال : علمنى الاسلام .

فمال به خالد الى فسطاطه ، فشن عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين .



هؤلاء ابتغوا الإسلام ديناً..

للأستاذ محمد نعيم

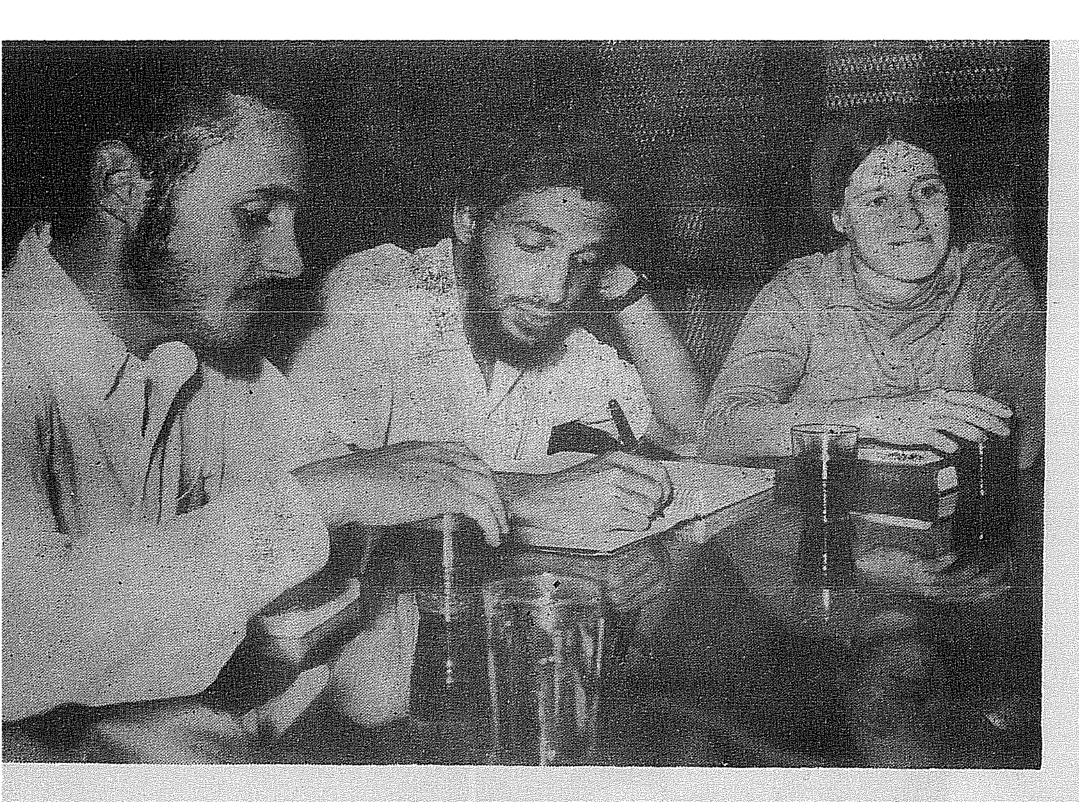
فى مكتب الدكتور عبد الحليم محمود .. التقيت بهم .. رجلين وامرأة .. اعتنقوا الاسلام منذ مدة قصيرة ، وجاءوا الى الازهر ليدرسوا اللغة العربية ، وعلوم القرآن الكريم .. وجرى بيننا حديث طويل رووا فيه قصة اسلامهم ، ولمحات من حياتهم السابقة للاسلام .. وكان مما قالوه لى .. أنهم عاشوا الحياة المادية بكل جوانبها ، ومع ذلك لم يجدوا أنفسهم وظلوا يبحثون ويدققون ، فلما وجدوها كانت على أول طريق الاسلام ..

قلت لهم : ولماذا اخترتم الاسلام ؟ ..

قالوا : وجدناه بعد قراءات طويلة ودراسات مستفيضة ، خير دين لنا .. فهو دين العقل والحق .. دين البشرية والاسرة ..

.. .. ..

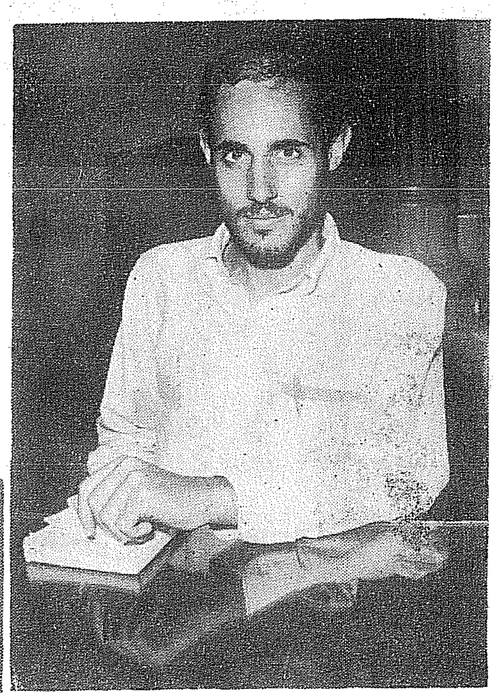
.. واذا كنا نقدم اليوم للقراء قصة اسلام هؤلاء الثلاثة ، فانما نسوق حقيقة لتكامل انسانيتهم ورجوعهم الى سليم فطرتهم ، وصدق الله العظيم اذ يقول « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ..



عائشة عبد الله وفارض رحمة الله ومصطفى يوسف ..

ونبدأ بأول عناصر هذه القصة .. الأخ مصطفى يوسف ، الذى كان يسمى فى السابق « ستيفنس كلارك » .. وهو أمريكى الجنسية من مواليد مدينة نيويورك وعمره ٢٢ عاما .. متخرج من جامعة كولومبيا — قسم الاديان الشرقية ..

يقول الأخ مصطفى .. كانت المادية التى سيطرت على مختلف نواحى الحياة تبعث فى نفسى الضيق والاضطراب .. وكنت أبحث عن مخرج ينتشلنى من حومة القلق القاتل الذى ألم بحياتى .. كنت أبحث عن الحياة الانسانية الصحيحة التى تحكمها روابط المودة والاخاء والحق والعدل والسلام .. كنت انشد الاستقرار الروحى الذى يوصل الى السعادة الحقيقية .. وفى طريق البحث المستمر صادفتنى موجة « الصوفية » السائدة بين الشباب المسلم ، فاستهوتنى ، ونالت اهتمامى .. وفى نفس الوقت دفعتنى لدراسة هذا التصوف .. فالتحقت بجامعة كولومبيا — قسم الاديان الشرقية — وكان من الطبيعى أن أدرس الاديان عامة ، ومن بينها الدين الاسلامى ، ولكنى تبينت بعد فترة من الزمن أن الدراسة بالقسم المذكور مركزة فى البوذية والهندوكية ، فلجأت الى مكتبة الجامعة التى كانت تحتوى على كثير من كتب التصوف فى الاسلام ، وأقطاب المتصوفين ، ثم تابعت قراءاتى فى المكتبة العامة بالمدينة .. وكان الغزالى من أحد الشخصيات التى قرأت لها ، فى كتابه « احياء علوم الدين » .. وبعض الكتب الاخرى المترجمة ..



((ستيفنس كلارك))
أصبح
مصطفى يوسف

كما قرأت عددا كبيرا من التراجم لاشعار جلال الدين الرومى .. وغيرها .

وبعد الدراسة والاطلاع لمست أن كثيرا من تعاليم الاديان ، لا تتفق مع العقل والواقع .. فكيف مثلا : اذا ضربنى أحد على خدى الايمن ، أدير له خدى الايسر .. أو يتحول الخمر والخبز الى دم المسيح ولحمه فى بدن الانسان .. وغيره .. انها مسائل تدخل فى باب السحر ، ولا تدخل فى باب الواقع كما أن المسيح كان يعيش حياة يتعذر على الانسان أن يحيا مثلها . انه من عالم آخر ، وينبغى لمن يريد أن يتابعه أن يكون من جنسه ، ليستطيع أن يفعل مثله .. أما بالنسبة للاسلام .. فمحمد صلى الله عليه وسلم ، بشر ، وضع موضع الاسوة التى يمكن لكل بشر أن يقتدى بها ، لأنه بشر مثله .. وايمانا بذلك ، قررت أن أعتنق الاسلام فتوجهت الى تونس حيث قابلت الشيخ الجليل الفاضل بن عاشور ، من علماء تونس المبرزين ، وأسلمت على يديه ..

.. .. ..

ويجىء دور الأخ فارض رحمة الله .. وكان اسمه السابق ((فيدور ايفان جفرنور)) .. وهو فانزويلى الجنسية من مواليد مدينة كاراكاس



((فيدور ايفان جفرنور))
أصبح
فارض رحمة الله

— عمره ٢٧ عاما ، ومتخرج من جامعة كولومبيا — قسم فن الاعلام الجماهيرى وشعبة الانتاج السينمائى ..

فيقول الأخ فارض .. هجرت

أسرتى الى الولايات المتحدة الامريكية ، ودرست فى المعاهد العليا هناك ، ثم توجهت الى ايطاليا حيث تخرجت فى أكاديمية الفنون الجميلة بجامعة روما ، وعدت مرة أخرى الى أمريكا لألتحق بجامعة كولومبيا — قسم فن الاعلام الجماهيرى — شعبة الانتاج السينمائى .. وخلال مراحل دراستى واتصالاتى لمست الكثير من التناقضات داخل المجتمع الامريكى ، ووسط الطلاب .

وبعد تخرجى كانت معى مهنة ذات دخل عال يحتاجها المجتمع بكثرة ، فعملت فى نيويورك ، وهوليود ، وكاليفورنيا ، وشيكاغو .. ومارست كل التقاليد والعادات المتبعة هناك .. وتمتعت بكل الامتيازات المادية من حياة فاخرة ، وغيرها من الاشياء التى يعرفها الناس ، والتى توفرها مهنة السينما .. والغريب أن كل فرد فى العالم حين ينظر الى الافلام الامريكية يتمنى أن يعيش الحياة الامريكية ، وعندما يعرف الناس أننى قادم من أمريكا يدور بأذهانهم هذا المستوى الذى يرونه فى أفلامهم ..!!.. ولكننى رغم ذلك كله اكتشفت أن ما أعيش فيه انما هو حلم .. بل حلم فارغ .. أو حلم خطر .. فقد كنت أحلم بالنجاح فى الحياة ، ولكننى بعد أن حصلت على هذا المتاع الدنيوى لم أجده شيئا .. ولم أحصل على السعادة الحقيقية ، بل وجدت أننى كنت فى خدعة كبرى ، ولم أجد أمامى طريقا آخر ، فانغمست مرة أخرى فى الشهوات حتى وصلت الى مرحلة أحسست أننى أعيش من خلالها فى جهنم نفسها .. هذه جهنم الذى يتمنى كل انسان أن يدخلها !! ..

(وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « حفت النار بالشهوات » .. فالسيارات والنساء والخمر ، وكل ما تمتلكه الولايات المتحدة من هذه الشهوات والرغبات المادية) .. ولم يعد أمامى غير احتمالين .. اما أن أستمر فى هذه الخديعة الجهنمية ، وكان ذلك مستحيلا بعد أن زاد شقائى ، أو أن أهرب منها الى طريق آخر .. لكن ما هو الطريق ، فلا أعرف .. وخلال هذه المعاناة كان لا بد لى من قوة عليا تخرجنى من تلك الحيرة ، ومن ذلك اليأس ، فنظرت عفوا الى الدين ، وكنت منذ صغرى مسيحيا كاثوليكيا ، ودرست فى المدارس الكاثوليكية بمدينة نيويورك ، ولكنها تركت انطباعا سيئا فى نفسى ، ثم درست البوذية والهندوكية ، وبعض الديانات الوثنية ، ولكني لم أطلع على الاسلام طوال هذه المدة ، فقد كان من السهل الاطلاع على كل الاديان فى أمريكا ، ما عدا الدين الاسلامى .. ويرجع ذلك الى سببين :

● أولهما : أن المؤسسات اليهودية هى التى تتحكم فى وسائل الاعلام من صحافة وسينما ومسرح .. وكل شىء .

● ثانيهما : أنه حدث أن تحول قسم دراسى بأكمله الى الاسلام ، وتصادف أن جميع طلبته كانوا من السود .. والسواد هناك يساوى فى نظرهم الشيطان ، أو الموت .. والزنوج يمثلون مقدمة الثورة ، وكذلك دينهم يمثل دينا خطيرا باعتباره مقدمة للثورة ..

وبعد أن نظرت فى هذه الاشياء ، وفى الاديان الاخرى ، لم أجد ما يشفى روحى ، فتوجهت الى الله أن يوفقنى ويهدينى .. وما لبثت أن اتخذت بالفطرة هيئة السجود التى

يعرفها المسلمون فى صلاتهم .. وشعرت فى هذا بالتسليم المطلق لهذه القوة العليا .. وكنت كلما شعرت بالحيرة أتجه الى الله بمثل هذه الصورة ، حتى رآنى بعض الناس ، فأخطرونى أن ما أفعله هو نفس ما يقوم به المسلمون فى صلاتهم ..

ولما كنت لم أجد مقنعا فيما قرأته من أديان ، فلم أبحث عن الاسلام الا بعد مرور شهرين ، فبدأت أقرأ عن الاسلام بعين ناقدة ويائسة .. أن أجد فيه !! .. ومن أهم ما قرأته كتاب الاستاذ حموده عبد العاطى « الاسلام تحت المجهر » ففيه على بساطته عمق ودقة ..

وأحاول الآن ترجمته الى الاسبانية لعل بعض المواطنين فى بلادى يطلع عليه ويهتدى به الى الاسلام ..

ثم قرأت ترجمة لمعانى القرآن ليوسف على ، فوجدت فى القرآن تعبيرا دقيقا عن أعماق نفسى ، وصورة مطابقة لفطرتى التى تذكرتها وأنا أتدبر فى معانيه .. فعندما كنت صغيرا تعودت الذهاب الى الكنيسة لاعترف « للأب » ببعض الخطايا ، لكنى أحسست وقتئذ أن هذا أمر غير طبيعى ، واتجهت الى الله مباشرة قائلا له : انك لا تحتاج الى قسيس يقف بينى وبينك ، لاعترف لك بذنوبى .. وبعد ذلك كنت كلما أردت أن أتوجه الى الله ، توجهت اليه مباشرة دون واسطة قسيس له ..

وهذا معنى أن الله قد خلقنا على الفطرة ، فالاطفال يولدون على الفطرة ، ولكن آباءهم ورؤساء الاديان يوجهونهم توجيها آخر ..

وزادت قراءتى للقرآن ، وتشبعت به ، وشعرت بالسعادة لأننى وجدت فيه تلبية لكل حاجاتى الروحية ، فقررت أن أعتنق الاسلام ، وأسلمت .. والواقع أننى كلما قرأت عن الاسلام ازددت يقينا بهذا الدين ، واكتشفت العديد من جواهر هذا الكنز الذى كان مختفيا على .. ويكفينى أنه فى الوقت الذى اعتبرنى فيه المجتمع ناجحا غاية النجاح كنت أشعر بينى وبين نفسى أننى محطم فاشل .. أما بعد أن أسلمت فان هذا المجتمع ينظر الى نظرته الى الرجل الفاشل فى الوقت الذى أعتبر نفسى فيه بلغت غاية من أقصى غايات النجاح .

وقد سمعت والدتى عن الاسلام فآمنت به ، وتبعتنى فيه .. واذا كان لى من حديث الى اخوانى المسلمين ، فاننى أرجو لهم أن ينظروا الى ما فى أيديهم من الدين الحق ، وأن يتمسكوا به ، ويحرصوا عليه ، دون أن ينظروا الى الحياة المادية ، والسعادة المادية الزائلة التى يبثها الشيطان .. وبدلا من أن يستمعوا الى موسيقى الجاز والروك آند رول ، عليهم أن يستمعوا الى صوت المؤذن وهو يناديهم « الله أكبر .. الله أكبر .. حى على الصلاة .. حى على الفلاح » .

** ** **

أما الأخت عائشة عبد الله .. وكانت تعرف قبل الاسلام باسم « فرجينيا جراى هنرى » فهى أمريكية الجنس من سكان مدينة

لوي فيل كنتكي — وعمرها ٢٦ سنة ، ومتخرجة من جامعة كولومبيا ..

تقول الاخت عائشة .. كنت منذ صغرى متدينة ، أذهب دائما



« فرجينيا جراى هنرى »
اصبحت
عائشة عبد الله

الى الكنيسة البروتستانتية التى انتمى اليها .. وكان من تعاليم هذه الكنيسة أن أؤمن بالحياة الآخرة .. ولكن اية حياة هذه ومعظم الناس لا يفكر فى الموت .. الا عندما يتقدم فى السن ..

وحدث فى صغرى أن شاهدت كثيرا من قريناتى وأقرانى فى السن يموتون فى بعض الحوادث ، فبدأت أفكر فى مصيرهم ، وماذا يحدث لهم بعد موتهم ؟ .. كما أن طريقة الحياة الامريكية تجعل المرء يشعر فى قرارة نفسه أنه سيموت عندما يبلغ الستين من عمره ، فعليه أن ينتهز فرصة هذه الحياة لينفقها فى المتعة والملذات قبل أن ينتهى كل شىء !!

ولم اكن راضية عن هذه الحياة التى تحيط بى ... وبحثت عن سبيل للاستقرار الروحى ، فالتقيت بحركة كبيرة تسمى « الروحية » تؤمن بالحياة بعد الموت ، وعند بعضهم — كما يقولون — مقدرة على الاتصال بعالم الاموات ... ويرون ان هؤلاء من الموهوبين !! ... ولكن عندما تتفحص وجوههم اثناء غيبتهم ، واتصالهم بهذا العالم الذى يقولون عنه ، انه عالم روحى ، تجدهم لا يسألونه ارشادا عن الحياة الروحية ، ولا عن الحياة الطيبة الصالحة ، ولكنهم يسألونه عن النواحى المادية التى لا صلة لها بالدين .. كما يعتقدون أن كل شىء له تعليل فى حياتهم المادية يكون فى عالم الارواح ، أو يكون من عالم الارواح .

وقلت فى نفسى ان عالم الارواح لا يعقل أن يقتصر عمله فى ارشادهم على الحياة المادية الزائلة ، ولا شك أن ذلك هو عالم الجن الذى ذكره القرآن .. الا اننى لم أكن واثقة من ذلك .. وشعرت بأنه ينبغى على أن اجمع البراهين العقلية الكافية لاثباته ، فدرست فى الجامعة مقارنة الاديان لمدة اربع سنوات باستثناء الدين الاسلامى الذى لم يكن يدرس لنا لأن رئيس القسم كان أستاذا يهوديا يدعى « موريس فريدمان » .. واستمر بحثى عن حقيقة عالم الارواح مستعينة بخبرتى التى اكتسبتها فى الحركة الروحية ، وباتصالاتى بأحد الاساتذة الانجليز

الضالعين فى هذا المضمار ، لكنه مع الاسف قتل بعد مدة ، فهزنى ذلك من أعماقى ، ووجدت كل شىء حولى يبدو غير حقيقى ، حتى الكتب التى تنشر عن الاديان .. فمؤسسة مثل مجلة « لايف » التى تشرف عليها هيئة يهودية تنشر كتبا عن الاديان مثل البوذية والهندوكية والاسلام وكأنها أديان أثرية غير حية ، لذلك كان اطلاعى على الاسلام ضعيفا ، ولم أشعر بوجوده الا بعد أن أسلم زوجى ، فبدأت أقرأ وأدرس الكتب الصوفية ، والتراجم الاسلامية ، وأسأل المسلمين عن تعاليمه حتى وجدت فيه الهداية والحقيقة التى أبحث عنها فأسلمت

.. وشعرت عندئذ أن الله قد أنعم على بأعظم نعمة حين هدانى الى الاسلام .. فقد تغير كل شىء فى حياتى .. حتى نظرتى الى الحياة قد تغيرت .. انها معجزة كبرى ..

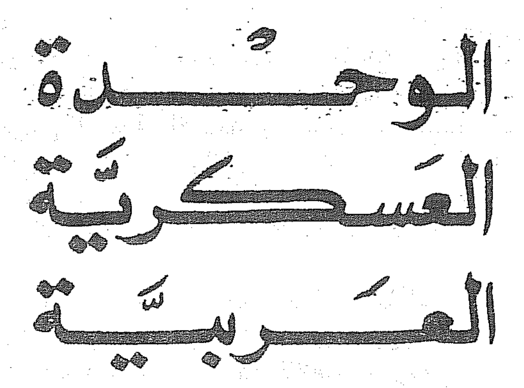
هذه هى قصة ثلاثة من الاخوة جاءوا من الغرب ونزلوا فى ضيافة مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .. لم تجمع بينهم سوى العقيدة الواحدة .. والهدف الواحد الا وهو الاستزادة من علوم دينهم الجديد حتى يكونوا فى بلادهم مشاعل تضىء الطريق لكل متخبط ، أو حائر .. وليردوا بأنفسهم على الافتراءات الكاذبة التى يلصقها المشككون بالاسلام ..

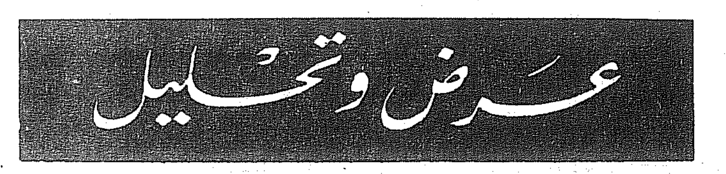
حقائق وأرقام

الحديث عن القدس جد اليم ..

بعد خمسة اسابيع فقط من سقوط القدس سنة ١٩٦٧ يبدا مشروع بناء عشرة آلاف مسكن على مدى اربع سنوات ثم تم الآتى :!

- **عاد اليهود الى الحى اليهودى من القدس .**
- **هدم السور الذى يفصل المدينة القديمة عن الجديدة .**
- **تم بناء مستعمرة على تل الذخيرة شمال القدس .**
- **فى ربيع ١٩٦٩ تم بناء حى جديد من ١٤٠٠ مسكن شمال شرق القدس .**
- **اعلن فى سبتمبر ٦٩ عن بناء ٢١٠٠ مسكن على امتداد شارع النبى اسرائيل وانجز ذلك فى مارس ١٩٧٠ .**
- **بدا بناء ١٤٠٠ مسكن آخر تنتهى فى نهاية ١٩٧١ .**
- **تم بناء مساكن لمائة عائلة فوق جبل المكبر .**
- **تم بناء ٢٠٠٠ دار فى منطقة النبى يعقوب بين القدس ورام الله .**





للدكتور : محمد بديع شريف

بين يدى كتاب : «دراسات فى الوحدة العسكرية العربية» ألقاه محاضرات اللواء الركن محمود شيت خطاب على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية قسم فلسطين فى القاهرة ونشرته جامعة الدول العربية فى القاهرة ونشرته دار الارشاد فى بيروت أيضا .

واللواء الركن خطاب صاحب سيف وقلم ، كتب وألف فى الدراسات العربية والفتوحات الاسلامية والموضوعات الحربية كتبا جليلة القدر ، أخذت مكانتها فى المدارس الحربية فى البلاد العربية وفى المعاهد العلمية والجامعات والمكتبات ، وكتاباه : الرسول القائد والفاروق القائد ، وكتبه عن قادة الفتح الاسلامى من الكتب الخالدة فى المكتبة العربية ، وليس بدعا أن يبرز اللواء أيضا فى هذا البحث الذى يعتبر كتاب الساعة لمعالجة الواقع العربى ازاء عدو رابض فى أقدس قطعة من ربوع وطننا العربى . هذا العدو العنيد المتمكن يدأب ليل نهار فى جمع العدة والعدد وتعبئة الجيوش المجهزة بالاسلحة الفاتكة للانقضاض على وطننا وتحقيق أحلامه فى التوسع بين الفرات والنيل يشد أزره الاستعمار وتعاونه القوى المعادية للعرب والاسلام .

واللواء الركن خطاب قائد محارب شهد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وخبر قوة اليهود ولمس مواطن الضعف والقوة فى صفوف العدو وصفوفنا ، ومن صفات القادة الاركان تقدير الموقف العسكرى ووضع الخطط ، فاذا كتب اللواء وخطط

حالفه صدق الحكم لخبرته فى موضوعه واختصاصه به وسعة اطلاعه . وها هو ذا يعرض فى كتابه هذا العرض الشامل لقوة هذه الامة يوم كانت موحدة تحت راية (الرسول القائد) ويوم تهيأت لها فرص الوحدة والاستقرار ، فاندفعت تحت راية الايمان تستأنف الفتح الاسلامى المتدفق فى الشرق والغرب ، فقصرت آماد الدهر وأمدت العالم فى أقل من ربع قرن بقواعد حضارة خالدة لا تزال مفخرة بين مفاخر حضارات الامم القديمة والحديثة ، تلك الحضارة العربية الاسلامية عنوان العدل والاخاء والمساواة .

ومنذ أن وقعت هذه (النكسة) التى نعدها جميعا فلتة من فلتات الزمن التى لم تألفها عزة الاسلام واباء الامة العربية منذ وقعة (ذى قار) الى يومنا هذا ، لا نزال حيارى فى تفسير وقوعها ، ولكننا سنجد فى هذا الكتاب ما يرفع الحيرة ويوضح السبب ويفتح الامل بالنصر المرتقب ، ويجيب اللواء فيــه عما به الناس يتساءلون .

يقول اللواء : «ان ضرورة بقائنا أمة ذات سيادة ومكانة تحتم علينا أن نحقق الوحدة العســكرية ، وأن نضــع تحت اقدامنا كل ما يحول دون تحقيقها ، والا فسنكون بعد سنوات عبيدا فى بلادنا أو لاجئين فى بلاد أخرى . وكل فرقة تقع فى صفوفنا تهيىء لاسرائيل تحقيق أطماعها التوســعية ، والقاعدة الثابتة التى لا يمكن أن تتغير ليس بالنسبة الى العرب وحدهم بل بالنسبة الى شعوب العالم كلها ، هى أن الشعب ــ كل شعب ــ لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصــفوف والاهداف ، فالوحدة تجعل من الامة قوة ضاربة لا تغلب من قلة أبدا ، والفرقة تجعل من الامة غثاء كغثاء السيل لا قيمة لها فى حرب ولا سلام » .

ويضرب اللواء الامثال فى عهد عمر وعهد عثمان وعن معاوية بن ابى سفيان وعهد عبد الملك بن مروان ويجعل من سنة ثلاث وسبعين الهجرية فى عهده عاما لوحدة الامة حيث خفقت راياتنا على ربوات بلاد فارس والروم وربوع الاندلس الجميلة .

واسرائيل لا تخشــى شيئا خشيتها من وحدة العرب ، ويروى اللواء عن (أنتونى ناتنك) قوله : « أن زعماء وزارة الخارجية الاسرائيلية قالــوا له : ان حكومتكم ستلجأ الى كل وسيلة ممكنة من أجل ابقاء جيرانها العرب ممزقين » .

كما يروى عن المؤرخ البريطانى توينبى قوله : « ان القضية الفلسطينية لن تحل حلا نهائيا الا اذا اتحد العرب » .

ويعلق اللواء على هذين القولين : « ان المسئول العربى الذى يقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب فى الوطن العربى تهوى اليه ، وسيجد النفوس فى دار الاسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت اقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر اليابســة فى أيام الخريــف ؛ وحينذاك ســيكون للعرب قوة لها شأن فى العالم كله تعيد للمســلمين عزهم ومجدهم » . ويختم هذا التعليق بقوله : « بالوحدة تموت اسرائيل ، وبالفرقــة يطول عمرها » .

ومن هذه القاعدة الثابتة قاعدة الوحدة الاساسية لحياة الشعوب ، يفتح اللواء آفاق الامل بالعزة والمجد ، ويقترح أن يعاد النظر فى تكوين جامعة الدول العربية التى هى المنظمة الوحيدة التى يمكن أن تجمع صــفوفهم وتوحد كلمتهم وتجعلهم أكثر تعاونا وتكاتفا ، وأن يكون أسلوب عملها حلفا سياسيا عسكريا ،

وان يتكون فيها جهازان : الجهاز السياسي والجهاز العسكرى ، ويجب أن يكون واجب مؤتمر القمة الخامس تحقيق هذا الامل الكبير للعرب ، وأن يستفيد مؤتمر القمة من تجارب الاحلاف العسكرية الكبرى فى العالم وعلى رأسها حلف الأطلسى للدول الغربية وحلف وارسو للدول الشرقية .

ويقترح اللواء أن تتألف أجهزة الوحدة السياسية العربية والوحدة العسكرية من مجلس الملوك والرؤساء لمعالجة المصالح المشتركة ورسم الاتجاهات السياسية وتقديم التوجيهات الكبرى ورعاية تنفيذ المقررات ورسم السياسة العليا للعرب ورسم السياسة العسكرية للدول العربية والمصادقة على القرارات الهامة التى سيعرضها عليه مجلس الدفاع المشترك الذى يعتبر الموجه الرئيسى للسياسة العسكرية العربية والذى يتألف من وزراء الدفاع ورؤساء أركان الجيوش العربية وهو تكوين يستحسنه اللواء على أن يجتمع مجلس الدفاع دوريا مرتين فى كل عام على الأقل اضافة الى حضور أعضائه اجتماع مجلس الملوك والرؤساء . ومجلس رؤساء الحكومات العربية الذى يتألف من رؤساء الوزارات فى البلاد العربية والذى واجباته متابعة ومواصلة الاجتماعات الدورية بوضع مقررات مؤتمرات القمة فى حيز التنفيذ العملى .

ومهما يكن من شىء فان اللواء خطاب يؤكد القول دوما فى أن تكون أجهزة الجامعة فى التكوين السياسى والعسكرى قوية تستند الى قوة الشخصية والى الاختصاص فاذا كان الامين العام للجامعة العربية عسكريا فى نظره ، فيجب أن يكون من النوع المتميز الرفيع الذى يشرف الكرسى ولا يشرفه الكرسى ويكون الامين العام المساعد العسكرى ضابط ركن الامين العام وساعده الايمن فى الشئون العسكرية وهو همزة الوصل بين الجامعة العربية من جهة والقيادة العربية الموحدة من جهة أخرى . ويشترط اللواء تفرغا لهذا المنصب لان الذى يتولاه يجب أن يكون الدماغ المفكر لتفاصيل القضايا العسكرية التى لها صلة مباشرة بالجامعة العربية وان يكون مسئولا عن اعداد ملكات الاجهزة العسكرية وتفاصيل الميزانية وجداول اعمال الاجهزة ومناهج اعمالها وتوقيتها واعداد النشرات اللازمة عن واجبات هذه الاجهزة وتنسيق التعاون الوثيق الفعال بينها . وقد رسم اللواء جدولا ممتازا لا سلوب العمل فى الجامعة على أساس تكوينها حلفا سياسيا عسكريا .

ويعلق اللواء على هذه الاقتراحات بقوله : « ولا شك فى أن كيان الجامعة العربية حين تصبح حلفا عسكريا سياسيا سيكون أقوى مما هو عليه الآن داخل البلاد العربية وخارجها اذ ان مجرد اقامة هذا الحلف سيزيد فى التحام الدول العربية بالجامعة وسيساعد على زيادة شعور الجامعة العربية نحو القضايا العسكرية لانها ستكون مسئولة عن تلك القضايا بالاضافة الى مسئوليتها السياسية ، والواقع هو ان ميثاق الجامعة العربية جمع شمل الدول الاعضاء فى رابطة ابتدائية وتجريبية الا انه لم ينشىء أجهزة قوية لها من السلطات والصلاحيات ما يجعلها قادرة على تحقيق اهداف الجامعة ، لذلك جاءت هذه المنظمةاتحادا ضعيفا وجودهأفضل من عدمه ولو أن هذا الوجود كان يجب أن يكون أكثر فائدة للعرب .

وفى هذا الكتاب عرض ممتاز للقيادة العربية الموحدة ويوجه اللواء اليها نقدا ذاتيا ولكنه نقد بناء ففى رأيه أن تأسيس هذه القيادة كان لطمة قاسية لاسرائيل ولمن وراء اسرائيل لان كل توحيد للجيوش العربية يبدأ من انشاء هذه القيادة ولأن

هذه القيادة هى النواة الصالحة المنشئة البناءة للوحدة العسكرية العربية ولأن اسرائيل ستكون مهددة بأفدح الأخطاء اذا قدر للوحدة العسكرية العربية ان توضع فى حيز التنفيذ وقد حملت اسرائيل عليها حملة شعواء وأخذت تبث التشكيك فى هذه القيادة وعاونتها الصحف المعادية لنا وساعدت على ذلك الاذاعات الاجنبية الضالعة مع اسرائيل ولاسرائيل العذر ولمن وراء اسرائيل العذر فى أن يرجفوا ويشككوا ولكن ما عذر العرب فى اقتفاء آثار اسرائيل فان أكثر العرب الذين ينهضون بالتشكيك لا يعرفون أقل القليل عن واجبات هذه القيادة وعما قامت به منذ مولدها عام ١٩٦٤ حتى تجميدها فى أوائل عام ١٩٦٧ . ان اعمال هذه القيادة فيها السرى وفيها الجهرى وما خفى من أعمالها أعظم مما ظهر وسوف تظهر الايام اعمالها ويومها سيندم الذين فرطوا فى حقها من العرب ولات ساعة مندم .

وبعد هذا العرض النقدى يوضح اللواء واجبات القيادة الموحدة ويجملها فى توحيد التدريب العسكرى وذلك لتنوع السلاح وتطور الكتب التى تبحث فى التدريب تبعا لتطور الاسلحة ثم التمارين العسكرية بقطعات ودون قطعات والعمل على توحيد تسليح الجيوش العربية وانتاج السلاح والذخيرة وتعاون البلاد العربية فى توزيع الانتاج كل حسب مقدرته . وتوحيد تنظيم الجيوش وتوحيد التجهيز مع انتاج التجهيزات انتاجا محليا ومن واجبات هذه القيادة ايضا جمع المعلومات العسكرية المفصلة عن قوات العدو وقياداتها وتنظيمها وتسليحها ومصانعها ومجمل القول ان تنظيم القيادة العربية فى راى اللواء الذى أورده فى هذا البحث تنظيما كما ينبغى يجعل مهمتها فى اداء واجباتها الصعبة سهلة ميسورة وفى الملحق (ب) وضع اللواء مخططا ممتازا للقيادة السياسية واجهزتها والقيادة العسكرية واجهزتها ليوضح تناسق العمل والترابط بين القيادتين .

ولا ينسى اللواء ما للوحدة العسكرية من أثر فى المعنويات التى يزيد بها القوى الكامنة فى صلب الانسان التى تكسبه القابلية على الاستمرار فى العمل والتفكير بعزم وشجاعة مهما اختلفت الظروف المحيطة به ومهما اشتدت الازمات وكثرت التضحيات ، ويضرب لتوضيح ذلك أروع الامثلة ومن ذلك ما نقله عن خالد بن الوليد قبيل نشوب القتال بين المسلمين والروم فى معركة اليرموك الحاسمة عام ثلاثة عشر الهجرية (٦٣٤م) قال رجل من المسلمين لخالد ابن الوليد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ، فقال خالد ما اقل الروم واكثر المسلمين انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان . ومعنى ذلك ان الجيش بعدده وعدده وبمعنوياته وليس العدد والعدد بأهم من المعنويات بالنسبة للجيوش خاصة وبالنسبة للشعوب عامة . ونقل عن نابليون أنه يقول : « قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية ثلاثة على واحد » وأيده كبار القادة فى الماضى والحاضر .

والمعنويات للجيوش لا تزال ذات قيمة عظيمة حتى بعد ظهور الاسلحة الجهنمية الفتاكة وستبقى عاملا حاسما من عوامل النصر . ومن الجدير بالذكر أن ادامة المعنويات أصبح مبدءا من مبادىء الحرب بعد الحرب العالمية الثانية . ويقول اللواء أن العقيدة من أهم عوامل تقوية المعنويات ولا نصر لجيش لا عقيدة له يدافع عنها دفاع المؤمن بها ويضحى فى سبيلها بما يملك من روح ومال والعقيدة هى التى تشيع الانسجام الفكرى فى العقول والقلوب معا واختلاف العقيدة فى الجيش الواحد يجعل منه قوة غير متعاونة كذلك اختلاف العقيدة فى الشعب الواحد يجعل منه كتلا متناقضة وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، والقيادة الممتازة ترفع المعنويات والقائد الممتاز هو الذى يحوز ثقة من يعمل تحت قيادته

ولن يجوز ذلك حتى ينسى نفسه من اجلهم ويفعل ما يقول وينفذ أوامره على نفسه قبل أن ينفذها على غيره ومن صفاته أن يكون واعيا نزيها على خلق رفيع حريصا فى اداء أعماله ، حريصا على مصير الذين هم تحت قيادته سريع القرار يتحمل المسئولية محبا لرجاله واثقا بهم ويولى الرجل منهم العمل المناسب له ولا يميل لأحد ويساوى نفسه برجاله ولا يستأثر عليهم بشىء ويتمتع بشخصية قوية نافذة . مثل هذا القائد يراه اللواء قائدا يسير برجاله الى النصر فى يسر وسهولة . ويقول اللواء ان انتصارا واحدا للعرب على اسرائيل كفيل أن يبدل المعنويات العربية من حال الى حال . وبعد أن يفصل اللواء القول فى مكانة المعنويات بالنسبة للجيوش والشعوب ينتقل الى أثر الوحدة العسكرية فى تكامل الانتاج الحربى وتطويره ويرى ان الوطن العربى من المحيط الى الخليج وحدة اقتصادية متكاملة والتنسيق الاقتصادى العربى يؤدى حتما الى الاكتفاء الذاتى للعرب ويحرم اسرائيل من اطماعها وتهديد العرب اقتصاديا .

وكل تخطيط سليم فى هذا السبيل يضع المباداة الاقتصادية بيد العرب على اسرائيل ومن وراء اسرائيل ففى بلاد العرب الثروة البترولية وفيها الثروة المعدنية فى اختلاف المعادن وفيها الثروات الطبيعية الاخرى والمواد الخام ما يعادل جميع الثروات الطبيعية فى أوربا كلها ، وفى بلاد العرب الممرات البرية والبحرية والمراكز السوقية (الاستراتيجية) الممتازة التى يستطيع أصحابها التحكم فى قارات ثلاث . ويركز اللواء القول على التنسيق الصناعى وصنع الاسلحة المختلفة والاكتفاء الذاتى بقدر المستطاع ومن أهداف التنسيق الصناعى العسكرى للعرب كما يراه اللواء اقامة معامل مختلفة فى الاقطار العربية تنتج سلاحا أو ذخيرة أو تجهيزات عسكرية فاذا كان مصنع عربى ينتج سلاحا خفيفا فيمكن أن ينشأ مصنع آخر فى قطر عربى آخر ينتج غير هذا السلاح وهكذا يكون هدف التنسيق زيادة فى التعاون بين البلاد العربية فى التسليح والتجهيز .

ويقول اللواء أن تنسيق الصناعات العسكرية فى كل دول العالم يعتمد على ثلاثة اصناف من الخبراء وهم الخبراء العسكريون وهؤلاء واجبهم اعطاء القرار عن اسبقية انشاء المصانع الحربية ومواضع انشائها ومقدار انتاجها والحفاظ على أمنها وسرية أنتاجها . والخبراء الاقتصاديون وهؤلاء واجبهم اعطاء القرار عن أحسن طريقة اقتصادية لاخراج هذه المصانع الى حيز الانتاج لتسد حاجة الجيوش العربية فى الحاضر والمستقبل ، وعلماء انتاج السلاح والذخيرة والتجهيزات العسكرية وهؤلاء واجبهم انتاج هذه المواد بكفاية ومقدرة وبميزات مفضلة وكميات تسد حاجات الجيوش العربية حاضرا ومستقبلا . وقد بذلت الجامعة العربية وبعض الدول العربية والقيادة العربية الموحدة جهودا لتنسيق الصناعات العسكرية العربية ولكن هذه الجهود لم تثمر لان الوحدة العسكرية لم تصبح حقيقة ملموسة .

ولكى يعرف العرب واجبهم العلمى فى هذه الظروف العصيبة ينتقل بنا اللواء الى موضوع آخر شيق من هذا الكتاب وهو أثر الوحدة العسكرية فى المجال العلمى ويرى فى ذلك أن ما يحتاج اليه العرب فى هذا الظرف ايمان بالله لترصين معنوياتهم وايمان بالعلم لترصين الاعداد العسكرى فان الحروب الحديثة اصبحت سباقا علميا واصبح علماء الطبيعة والكيمياء والفيزياء فى مكانة مرموقة وربما يقرر العلماء بما يقدمون من أسلحة جديدة نتيجة الحرب كما حدث لليابان فى الحرب العالمية الثانية عندما ضربت هيروشيما وناجازاكى عام ١٩٤٥

بالقنبلتين الذريتين فاعلن امبراطور اليابان ان هذا السلاح الجديد لا قبل لليابان بالصمود أمامه واعلن الاستسلام . فكان انتصار الحلفاء على اليابان انتصارا علميا لامراء فيه .

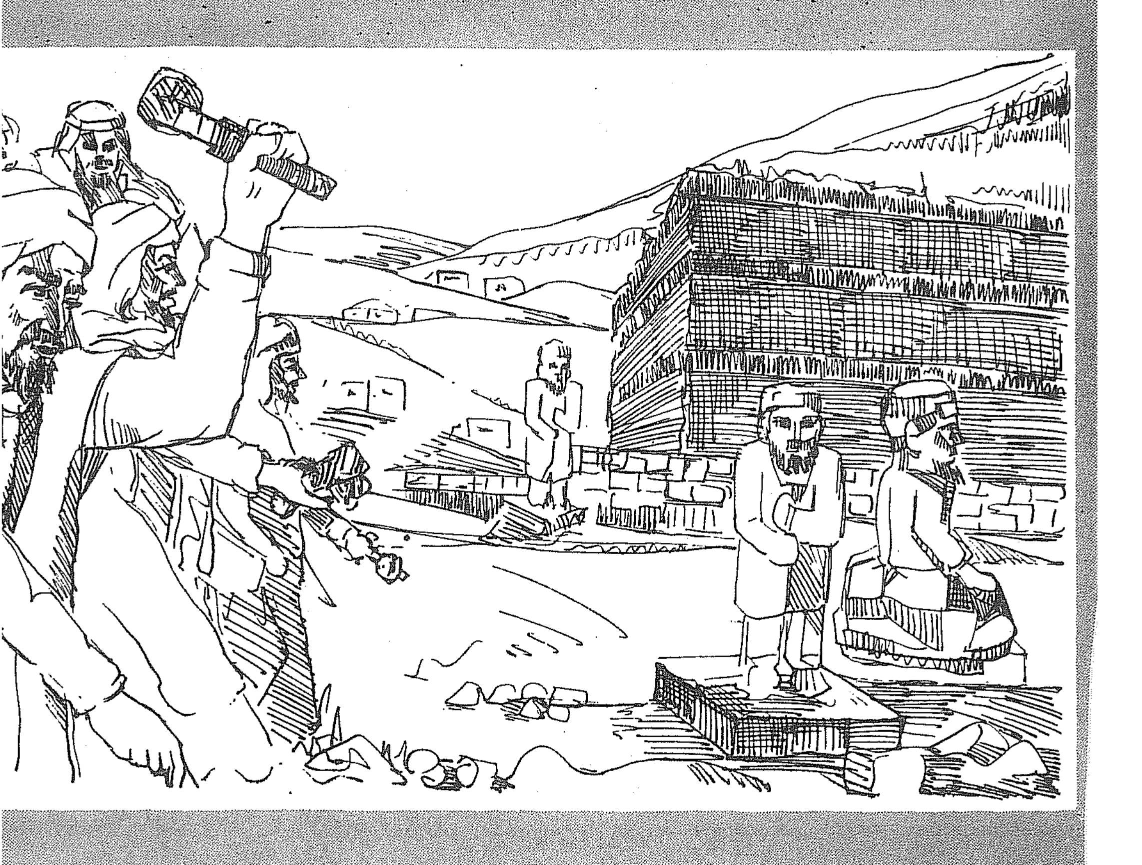
وتقوم اسرائيل اليوم بتجارب علمية لا حدود لها . وقد انشأت المفاعلات الذرية ولها علماء منتشرون فى ارجاء العالم يزودونها بالخبرة ولها اثرياء يزودونها بالمال وتتنافس روسيا والولايات المتحدة تنافسا علميا عنيفا لاخراج أفتك أسلحة الدفاع والهجوم . ويعرض اللواء ما تقوم به اسرائيل فى تطوير صواريخها وقد انتهت الاعمال التحضيرية كلها فى قسم هندسة الابحاث الجوية فى معهد التكنيون خلال عامى (١٩٥٧ — ١٩٥٨) وفى الساعة الرابعة والدقيقة الواحدة والاربعين من صباح ٥ حزيران (يونيو) عام ١٩٦١ اطلقت اسرائيل صاروخها الاول من قاعدة سرية على شاطىء البحر الابيض المتوسط بالقرب من تل أبيب . ومنذ ذلك الوقت وهى تطور أبحاثها حتى يومنا هذا . ويذكر لنا اللواء جهود علماء الذرة فى اسرائيل ويقول اذا كان فى معهد وايزمن فى رحبوت وحده مئتا عالم ذرى وخمسون فنيا باعمال الابحاث الذرية قبل عام ١٩٦٧ فكم هو عددهم فى معاهد اسرائيل العلمية الاخرى ؟ ويتصل علماء اسرائيل بعلماء العالم للتعاون فى هذه الموضوعات وقد زودت فرنسا اسرائيل بكمية من البلوتونيوم وهو عنصر يستخرج من اليورانيوم كما أصبح الآن فى وسع أية دولة شراء هذا المعدن من الاسواق العالمية وقد اكتشفت اسرائيل وجود هذا المعدن فى صحراء النقب وهو متيسر فى منطقة البحر الميت .

وبعد أن يذكر اللواء هذا العرض الشيق العلمى الدقيق لا يفقد الأمل ويقول ان العرب يستطيعون منافسة اسرائيل فى المجال العلمى اذا تعاونوا بالجهاد بأموالهم وعلمائهم لتحقيق السبق العلمى وصمموا على ذلك . فان أثرياء العرب يستطيعون شراء اليورانيوم أما اذا بقى اهل المال حراسا على اموالهم وأهل العلم يفكرون ببطونهم فان العرب لن يستطيعوا اللحاق باسرائيل علميا وسيؤدى التفوق العلمى الاسرائيلى الى نتائج خطيرة جدا على المصير العربى كله بما فيه الاموال والعلماء .

ولا يقف بحث اللواء عند حد البحث عن الذرة بل ينتقل الى ما تفعله اسرائيل فى جانب الاسلحة الكيماوية والاسلحة الجرثومية واسلحة الحرب الاشعاعية ويحيلنا فى دراسة هذا البحث العلمى الى كتابه « العسكرية الاسرائيلية » ففيه تفصيل يوضح جهود هذه الدولة المقحمة فى أرضنا فى هذه الحقول والتى تطمع فى ثرواتنا ومنافذ مواصلتنا وتكون ركيزة للاستعمار تأتمر بأمره وتنفذ مخططاته . وما عدا تلك الاسلحة الفاتكة يعمل علماء اسرائيل على ايجاد جهاز تغيير اتجاه القذائف وجهاز الاختفاء عن الانظار ويعمل فى هذا المختبر عدد من العلماء الاسرائيليين بينهم يهود من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية وتشيكوسلوفاكيا .

وبعد فماذا عن البحث العلمى والتطور التكنولوجى فى مجال التعاون العربى ؟

يقول اللواء : يتفاوت التقدم العلمى فى كل دولة من الدول العربية حسب ماتبذله من الجهود ومايتوفر لديها من امكانات علمية وعلى الصعيد الدولى لم يؤد العرب دورا ظاهرا فى مجال البحث العلمى والتطور التكنولوجى . واقتصر التعاون العربى على نشاط مركز الشرق الاوسط الاقليمى للنظائر المشعة للدول العربية طبقا لاتفاق عقد بين الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة لهيئة الامم



ـ « أنت تعرف .. »

قال مغالطا نفسه ، متناسيا الحقيقة المرة التى تصفعه ..

ـ « أنا لا أعرف شيئا » .

رمته بنظرة ساخرة وقالت:

ـ « انتصر محمد بن عبد الله .. احتلت جيوشه أنحاء مكة .. استسلم له كل شىء .. خرج كبراء مكة وسادتها اليه يطلبون الصفح والغفران .. أتريد أن تسمع شيئا آخر ؟ »

هز رأسه ووجهه الشاحب وهدر :

ـ « تكلمى .. »

ـ « أنزل الأصنام من عليائها ، داسها تحت أقدامه ، صوت المسلمين يتردد فى الآفاق .. لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده .. »

حك أنفه غاضبا ، ودفع اناء الماء بقدمه ، وصاح :

ـ « ألا يقاومه أحد الآن ؟؟ »

ـ « المقاومون لا وجود لهم الآن .. هم واحد من اثنين اما هارب خارج

او لاجىء الى مختبئا .. »

أحـــد قائلا :

— « أنا لست جبانا »

— « لم أقل ذلك .. »

— « وأنا لم ولن أستسلم » .

— « هذا شأنك .. »

— « أتسخرين منى يا امرأة ؟! »

— « انك يا وحشى بن حرب » تتوهم أشياء لم أقلها .. »

— « لكنى أقرأ ما وراء كلماتك .. أفهم ما يجول فى خاطرك .. »

وسادت فترة صمت ، كان « وحشى بن حرب » يفكر أثناءها .. تذكر أيام أن كان عبدا متمردا بارعا فى استعمال الحربة ، أيام كان يحلم بالحريـة ، واستعداده لكى يضحى فى سبيلها بأى شىء ، وتذكر الفرصة الذهبية التى أتاحتها له الاقدار ، يوم أن أتاه سيده « جبير » ، وعرض عليه أن يهبه العتق مقابل قتل حمزة .. وحمزة فارس المسلمين ، وبطل « بدر » ، ومجندل الأبطال والسادة من مكة فى المعركة الخالدة .. هذا يوم لا ينساه « وحشى » . وأخيرا بكر فى الخروج يوم « أحد » ، وأخذ يتخفى ، ويتحين الفرصة حتى واتته فقذف بحربته ، وقتل « حمزة » غيلة .. كان لقتله رنة أسى فى صفوف المسلمين ، وأطلق فرحة غامرة بين المشركين .. ونال وحشى الحرية .. والمال .. والهدايا .. والشهرة .. وفقد كل أمل فى لقاء محمد ورجاله .. انصرف فكره وقلبه عن الدعوة الجديدة ، لم يكن أمامه بعد ذلك سوى أن يعادى محمدا .. ويحاربه .. ويرفع راية الحقد والكراهية ضد الدين الجديد .. وتتالت المعارك .. حتى جاء اليوم الذى لا ينسى .. محمد فى آلاف الرجال ، يتوسط كتيبته الخضراء ، ويدخل مكة فوق ناقته « القصواء » .

رفع وحشى وجهه وقال :

— « هل أسلم أبو سفيان حقا ؟! »

ضحكت المرأة فى مرارة وقالت :

— « وزوجه هند .. هى الأخرى أسلمت .. »

هز وحشى قبضته فى دهشة وقال :

— « آكلة الأكباد ؟؟ تلك التى أهدر محمد دمها ؟؟ كيف ؟؟ ان الأمر يبدو لى وكأنه حلم سخيف لا معنى له .. »

ثم استطرد قائلا :

— « وعكرمة بن أبى جهل ؟؟ »

— « حاول الفرار الى اليمن » وذهبت زوجه الى الرسول تستأمنـه ، فعفا عنه ، أدركوه قبل أن يركب السفينة ، فعاد ، ثم اعتنق دين محمد .. »

زجر وحشى غاضبا وقال :

— « تعسا لك يا عكرمة ، تنكرت لدم أبيك ، وخنت ما بيننا من عهـود ومواثيق .. »

اقتربت المرأة من وحشى ، وربتت على كتفه فى رقة وقالت :

— « لقد مات عصر .. وولد عصر جديد .. الا تدرك ذلك يا وحشى ؟؟ »

صاح :

— « الحمقى وحدهم هم الذين يستسلمون عند أول صدمة .. لم يولد

عصر ، وانما تغيرت الوجوه والاسماء .. »
هتفت مغتاظة :
ـ « أنت تخدع نفسك ، وتزيف الحقائق .. »
ـ « أنا ابعدنظرا منكم جميعا .. وافهم ما خفى على البلهاء والسذج من سادات مكة وأساطينها .. قبائل « هوازن » كلها سوف تخرج لمحمد ولن تتركه حتى تقضى عليه .. « ثقيف » بحصونها ورجالها فى « الطائف » لسوف تتصدى لزحفه .. أشتات فى أنحاء بلاد العرب سينهكون قوى محمد ، ويستنزفون عدته .. »

ويبدو أن « وحشى » قد نجح فى اقناع نفسه ، فانتعش قلبه ، وفاضت الطمأنينة على ملامح وجهه الأسود ، ومد يده محاولا مداعبة المرأة الفانية التى اتخذها عشيقة له ردحا من الزمن ، لكنها ردته فى عنف لم يألفه ، ورفضت الاستجابة لكل محاولاته ، وخيل اليه أنها تصفعه بكلماتها حينما قالت :

ـ « لسوف أذهب الى محمد » ..
ـ « لتخبريه عنى ؟؟ »
ـ « بل لأشهد ألا اله الا الله ، وأنه رسول الله » .

قهقه وحشى ، حتى كاد يستلقى على قفاه ، واحتقن وجهه ، حتى كاد يتفجر منه الدم وقال :

ـ « أوتظنينه يفتح بابه للداعرات ؟؟ »
ـ « لقد قال محمد ان الاسلام يجب ما قبله .. »
ـ « لكنك لن تستطيعى أن تنسى الكؤوس .. والرجال .. وليالى الغناء والمتعة .. »

رفعت رأسها فى تحد قائلة :

ـ « كانت مكة كلها تنضح بالعار .. كنت أبيع المتعة الحرام .. وكان الناس يشترون .. كلنا سواء فى الاثم .. وكان الناس يظلمون .. والظلم عار .. وكان السادة يقتلون .. والقتل عار .. للعار مئات الأوجه .. ولقد أسلموا برغم ذلك .. ومحمد لن يغلق بابه فى وجه أحد يأتيه تائبا مسلما .. »

جذبها من كمها فى عنف ، ثم أقعدها الى جواره ، وأظهر لها اعتراضه الشديد وعول على أن يمنعها بالقوة من الخروج ، وكان واضحا لها أنه يتصرف كطفل مشاكس ، فان الأمر لن يخفى طويلا ، وستطوله أيدى المسلمين ، وهو مهدور الدم ، وانتظرت حتى سكن غضبه ، وعاد اليه قليل من الهدوء وقالت :

ـ « اما أن تسلم ، أو تخرج من مكة تحت جنح الظلام .. اختر أيهما شئت يا وحشى ، كن عاقلا ، ولا تتصرف بحماقة والا أضعت كل شىء .. »

فكر فى كلماتها ، انها برغم ايجازها قد بلورت الموقف ، وحددت أبعاده ، لقد كانت تتكلم كفيلسوفة ، تتخذ لها موقفا لا تردد فيه ولا تخوف ، وهو الفارس .. الحر .. الذى نال حريته بحربته ، قاتل حمزة .. صاحب الاسم الطنان .. لا يعرف كيف يمضى فى الطريق .. أوليس هذا سخرية ما بعدها سخرية ؟؟ لقد كان يظن أن العبودية أمر ما فى الوجود ، أما الآن فهو يشعر انه أتعس من أى عبد على ظهر الأرض .. المجد والحرية لم تشفعا له ، لم تستطيعا أن تبللا قلبه المشتعل بقطرات من أمن وسعادة .. لم تستطيعا أن تنقذا ضميره من براثن العذاب والتمزق والاضطراب .. وتمتم وقد طأطأ رأسه فى حسرة :

ـ « انني أتعس انسان .. »

ـ « لأنك أناني .. تفكر وأنت غارق في بحر من الكبرياء الزائفـة .. وتخاف الجزاء العادل .. »

سدد اليها نظرات تائهة وقال :

ـ « وماذا أفعل ؟؟ »

ـ « ابحث عن الحق والباطل .. ثم اختر طريق الخير .. »

ابتسم في حزن وقال :

ـ « الذين يتهددهم الموت لا يفكرون في حق أو باطل .. »

ـ « فيم يفكرون اذن »

ـ « في النجاة .. »

ـ « العودة الى الحق هي طوق النجاة .. »

ـ « واذا قتلوني ، فأية نجاة أنال اذن »

ـ « الموت لا معنى له هنا .. »

ـ « لم أصل بعد لهذه المرحلة من السذاجة .. »

ـ « لئن مت مسلما يا وحشي فان هذا عين المنى .. »

هب واقفا ، ورماها بنظرة سزراء وقال :

ـ « حياتي أهم ما في الوجود .. حياتي فوق المبدأ .. انني لا اثق في شيء بهذه الدنيا على الاطلاق .. لا احب أحدا .. ولسوف أخرج من مكـة ، وانطلق في أرض الله الواسعة ، لا أخضع .. متحللا من كل قيد .. وأنا واثق من أنني سأجد أعداء لمحمد .. وسأمضي في ركبهم .. فان انتصرت نلت ما أريد وان هزمت .. فسأواصل رحلة الهروب حتى آخر العمر ... »

غمغمت المرأة :

ـ « انك ترمي بنفسك في تيه لا قرار له .. »

□ □ □

ومضت الأيام والشهور ، وانهزمت هوازن ، وفتحت الطائف أبوابها لنور الحق ، فأسلمت « ثقيف » ، وتسابقت القبائل لاعتناق الدعوة الالهية ، وتسلل « وحشي بن حرب » الى المدينة ، ووقف قبالة رسول الله ، ونطق الشهادتين ، فقبله الرسول ، لكنه صلى الله عليه وسلم دقق فيه النظر ، ثم قال في حزن ، وقد تذكر مأساة الشهيد حمزة بن عبد المطلب وقال :

ـ « أأنت وحشي ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « أرو لي كيف قتلت حمزة ؟ »

وما أن انتهى من قصته الدامية ، حتى أطرق الرسول قائلا :

ـ « غيب وجهك عني .. »

تلك الكلمة التي ظلت تطارد وحشي طول حياتـه ، وتبعث في نفسـه الأسى والعذاب ، وتثير لديه كامن الندم ، وتغرق ليله بالدموع ، ولم يشـعر وحشي بشيء من الراحة والرضى الا بعد أن شارك في ضرب المرتدين وقتل « مسيلمة الكذاب » ، ويومها قال في تأثر :

ـ « بحربتي هذه قتلت أشرف الناس حمزة بن عبد المطلب ، وأكـذب الناس مسيلمة الكذاب .. »



صلاح الدين الأيوبي

- الملك الناصر صلاح الدين يوسف الأول بن الأمير نجم الدين أيوب ولد في تكريت ٥٣٥ هـ نشأ في بعلبك وصحب أباه حيث يعمل في بلاط نور الدين بدمشق .
- كان مغمورا في صباه وشبابه ولوعا بالجدل الفقهي .
- جاء الى مصر مع شيركوه في ٥٥٩ هـ وأظهر شجاعة وقدرة ، فعين وزيرا لأول مرة في ٥٦٤ هـ ولقبه الخليفة بالملك الناصر .
- جعل من أهدافه مقاومة الصليبيين الذين توقعوا الخطر عليهم منه فاستجلبوا النجدات من أوروبـــا .
- اشتغل بتوحيد مصر والشام والمغرب والنوبة في يـــده مع مناوأة الصليبيين .
- هجم على الصليبيين بغتة في ٥٧٣ الا أنهم انتصروا بمعجزة وأقاموا صلاة شكر في بيت المقدس .
- بعد عشر سنوات من انتصار الصليبيين كان صلاح الدين قد تأهب من جديد والتقى بهم في حطين فهزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة فسقطت في يده بعدها حصون طبرية والناصرة والسامرة وصيدا وبيروت وتيران وعكا والرملة وغزة وحيرون ثم فتح بيت المقدس ٥٨٣ وتحقق أمل العالم الاسلامي بذلك حينئذ .
- دخل في مفاوضات صلح أحيانا وحروب أحيانا أخرى مع ريتشارد قلب الأسد الا أن ذلـــك أدرك أن لا أمل في انتصــــار حقيقي على المسلمين ففاوض صلاح الدين ورحل ، وانتهى تقريبا الوجود الصليبي في بلاد الاسلام .
- توفي في دمشق في صفر ٥٨٩ .
- رحمه الله وجعل منه قدوة ومثـــلا .

عبد المعطى بيومى



اعداد الاستاذ : عبد الستار فيضي

من كتاب الله

((وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) .

سعادة الاسرة فى التزام امر الله ونهيه .

الأسرة في الإسلام

الأسرة هى اللبنة الاولى فى بناء المجتمع ، ولذا كان اهتمام الاسلام بها تكوينا ونموا . اصلا وفرعا ، زوجا وزوجة وولدا . خطبة وزواجا وعشرة . حقوقا وواجبات . تشريعا وقصصا ، قيما وتطبيقا .

ويقوم بنيان الأسرة فى الاسلام على أسس ثابتة أهمها :

١ ـ وحدة الأصل والمنشأ ، فأعضاء الأسرة من اصل واحد ومنشأ واحد ، قال تعالى : (**يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس**

نساء خالدات

السيدة خديجة

هى خديجة بنت خويلد بن أسد ، وامها فاطمة بنت زائدة ، من سيدات قريش وكانت تدعى قبل البعثة الطاهرة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سن الخامسة والعشرين وكانت سنها أربعين سنة ، وقد تعرفت عليه من خلال اخلاقه الفاضلة وسيرته العطرة ، تاجر فى مالها وسمعت عنه الكثير من الأمانة والصدق .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اول من آمن به من النساء ، وأعانته بمالها وواسته بحسن عشرتها على تحمل أعباء الدعوة ، وهيأت له المنزل السعيد الذى أعانه على تبليغ رسالة ربه .

وعاشت معه أربعا وعشرين سنة وبضعة اشهر ، ولم يجمع الرسول بينها وبين زوجة أخرى ، وانجبت له (رقية وام كلثوم وفاطمة وزينب والقاسم وعبد الله) ..

توفيت لعشر خلون من رمضان سنة عشر من البعثة وعمرها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون ، ونزل النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرتها ، ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز ، وحزن عليها حزنا شديدا وظل يذكرها طول حياته ويثني عليها ويقول : (**آمنت اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء**) ..

رضى الله عنها وارضاها ، وجعل الجنة منقلبها ومثواها ..

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) .

٢ ــ المودة والسكن : فالزوجية السعيدة تحقق التناسق والتقارب في المشاعر والأحاسيس ، وتعين على احتمال أعباء الحياة ومواجهة مسئولياتها قال تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

٣ ــ العدالة : في تحديد الحقوق والواجبات على أساس من الاستعداد البدني والنفسي لكل من الزوجين قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء) وقال سبحانه : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (النساء شقائق الرجال) .

٤ ــ وقايتها من عوامل التفكك والانحلال : فقد شرع الاسلام احكام النفقة والحضانة والرضاع والميراث وبين حدود الطلاق وتعدد الزوجات وآداب السلوك والمعاشرة ، وحذر من المضارة والانحراف والقاعدة الكلية التى بنى عليها الحياة الزوجية : (امساك بمعروف او تسريح باحسان) .

من اقوال الحكماء

قالوا :

القلب يدفع طالب الزواج الى الحسناء والمصلحة تدفعه الى الدميمة والعقل وحده يسوقه الى المراة الفاضلة ..

بريد الأسرة

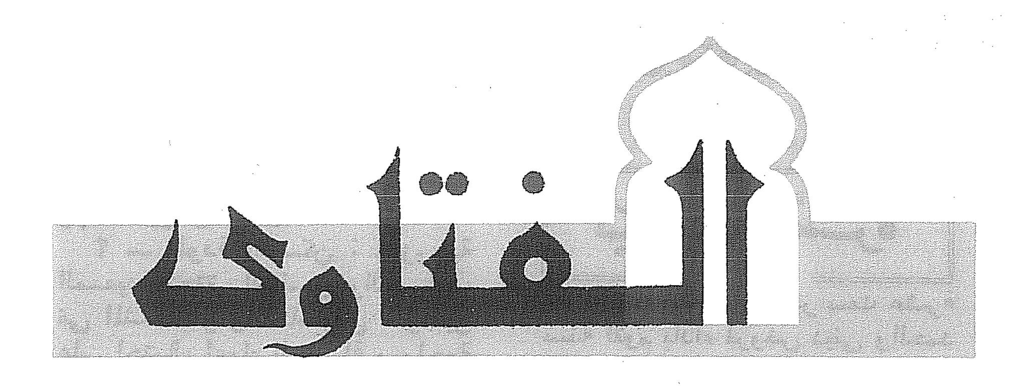
انا فتاة أبلغ من العمر ست عشرة سنة أقوم بأداء فروض ديني والحمد لله واتمتع برضاء الوالدين والأهل واكثر من قراءة القرآن ولكن أشد ما يحيرني هو انني أمشي سافرة كبنات عصري هذا مع العلم انني لا أستطيع لبس العباءة التي كادت أن تختفي . انني في حيرة لأنني اظن أن الله غير راض عني واني سأدخل النار بسبب ذلك .

كما أنني أعتقد أن الله لن يقبل مني أعمالي الصالحة ما دمت أسير سافرة .

(م. ع. م ــ الكويت)

المطلوب شرعا من المراة هو ستر العورة ، وعورتها جميع بدنها ما عدا وجهها وكفيها باى لباس ساتر بشرط الا يكون ملفتا للنظر بالوانه البراقة ولا يكون ضيقا يحدد اعضاء الجسم ، ويبرز مفاتنه ، ولبس العباءة ليس شرطا ويجب على الفتاة المسلمة ان تكون متميزة بشخصيتها فى زيها وسلوكها ، وكثير من النساء يحتفظن بزيهن الوطني المتميز كالباكستانيات والسودانيات وهو زى يتفق مع متطلبات الشريعة الاسلامية ، وهذا الزى موضع اعتزاز لهن ، ولم يكن فى يوم من الأيام مثارا لقلقهن وحيرتهن ، ولا مثارا لاستهزاء الغير بهن ..

ونحن اذ نشكر لك حرصك على اداء الفرائض الاسلامية وقراءتك للقرآن الكريم نلومك اشد اللوم على السفور ونرجو أن تكونى مثالا حسنا للفتاة المسلمة المحافظة .



زواج التحليل

السؤال

طلقت زوجتى ثلاث طلقات متفرقات فى مدى خمسة عشر عاما ، واستفتيت احد العلماء فقال : انها لا تحل لى حتى تتزوج رجلا آخر ، ونظرا لأن لى منها اطفالا يحتاجون الى رعايتى ، ولنا رغبة فى استئناف الحياة الزوجية وافقت زوجتى ان تتزوج برجل آخر سموه باسمه ، ويدخل بها دخولا شرعيا ، ثم يطلقها لأتزوجها مرة ثانية ، فهل هذا الزواج الثانى صحيح شرعا ، وبالتالى هل يحل لى العقد عليها مرة ثانية بعد تطليقها من زوجها الأول ؟

سليم عثمان — السودان .

الاجابه

هذه الظاهرة موجودة فى كثير من المجتمعات الاسلامية وترد الى المجلة رسائل كثيرة تطلب رأى الشريعة فى هذه المشكلة .

وقد رجعنا الى فضيلة الشيخ السيد سابق فى الاجابة على هذا السؤال فقال :

زواج التحليل هو أن يتزوج المطلقة ثلاثا بعد انقضاء عدتها، ويدخل بها ثم يطلقها ليحلها للزوج الأول .

حكمه

وهذا النوع من الزواج كبيرة من كبائر الاثم والفواحش حرمه الله ولعن فاعله .

١ — فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله المحلل والمحلل له » رواه أحمد بسند حسن .

٢ — وعن عبد الله بن مسعود قال . « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له . » رواه الترمذى ، وقال . هذا حديث حسن صحيح ، وقد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم — من غير وجه .

والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — منهم ، عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم . وهو قول الفقهاء من التابعين .

٣ — وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن المحلل ، فقال .

« لا . الا نكاح رغبة ، لا دلسة ، ولا أستهزاء بكتاب الله عز وجل حتى تذوق عسيلته » .

رواه أبو اسحاق الجوزجاني .

٤ — وعن عمر رضى الله عنه قال .

« لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما » .

فسئل ابنه عن ذلك فقال . كلاهما زان .

رواه ابن المنذر ، وابن أبى شيبه ، وعبد الرزاق .

٥ — وسأل رجل ابن عمر فقال .

ما تقول فى امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها ، ولم يأمرنى ولم يعلم ؟

فقال له ابن عمر . « لا ، الا النكاح رغبة ، ان أعجبتك أمسكتها ، وان كرهتها فارقتها ، وان كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال . لا يزالان زانيين وأن مكثا عشرين سنة اذا علم أنه يريد أن يحلها .

حكمه

هذه النصوص صريحة فى بطلان هذا الزواج وعدم صحته لأن اللعن لا يكون الا على أمر غير جائز فى الشريعة ، وهو لا يحل المرأة للزوج الأول . ولو لم يشترط التحليل عند العقد ما دام قصد التحليل قائما ، فان العبرة بالمقاصد والنوايا .

الزواج الذى تحل به المطلقة للزوج الأول .

اذا طلق الرجل زوجته ثلاث تطليقات فلا تحل له مراجعتها حتى تتزوج بعد انقضاء عدتها زوجا آخر زواجا صحيحا لا بقصد التحليل .

فاذا تزوجها الثانى زواج رغبة ، ودخل بها دخولا حقيقيا حتى ذاق كل منهما عسيلة الآخر ثم فارقها بطلاق او موت ، حل للأول أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها .

روى الشافعى واحمد والبخارى ومسلم عن عائشة : جاءت امراة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت — انى كنت عند رفاعة فطلقنى . فبت طلاقى فتزوجنى عبد الرحمن بن الزبير ، وما معه الا مثل هدبة الثوب فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال .

« أتريدين أن ترجعي الى رفاعه ؟ ... لا ... حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » .

وذوق العسيلة كناية عن الجماع .

ويكفي في ذلك التقاء الختانين الذى يوجب الحد والغسل ونزل فى ذلك قول الله تعالى ـ « فان طلقها فـلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله »

وعلى هذا فان المراة لا تحل للأول الا بهذه الشروط :

١ ـ أن يكون زواجها بالزواج الثانى صحيحا .
٢ ـ أن يكون زواج رغبة .
٣ ـ أن يدخـل بها دخولا حقيقيا بعد العقد ، ويذوق عسـيلتها وتذوق عسيلته .

حكمة ذلك

قال المفسرون والعلماء فى حكمة ذلك ـ أنه اذا علم الرجل ان المرأة لا تحل له بعد أن يطلقها ثلاث مرات الا اذا نكحت زوجا غيره فانه يرتدع ، لأنه مما تأباه غيرة الرجال وشهامتهم ، ولا سيما اذا كان الزوج الآخر عدوا أو مناظرا للأول . وزاد على ذلك صاحب المنار فقال فى تفسيره .

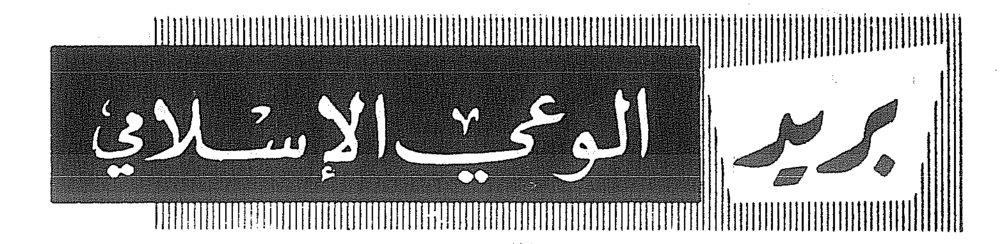
: ان الذى يطلق زوجته ، ثم يشعر بالحاجة اليها فيرتجعها نادما على طلاقها ثم يمقت عشرتها بعد ذلك فيطلقها ، ثم يبدو له ويترجح عنده عدم الاستغناء عنها ، فيرتجعها ثانية ، فانه يتم له بذلك اختبارها .

لأن الطلاق الأول ربما جاء عن غير روية تامة ومعرفة صحيحة منه بمقدار حاجته الى امرأته .

ولكن الطلاق الثاني لا يكون كذلك ، لأنه لا يكون الا بعد الندم على ما كان أولا ، والشعور بأنه خطأ ولذلك قلنا ان الاختيار يتم به .
فأذا هو راجعها بعده كان ذلك ترجيحا لامساكها على تسريحها .
ويبعد أن يعود الى ترجيح التسريح بعد أن رآه بالاختبار التام مرجوحا .
فاذا هو عاد وطلق ثالثة ، كان ناقص العقل والتأديب .
فلا يستحق أن تجعل المراة كرة بيده يقذفها متى شاء تقلبه ويرتجعها متى شاء هواه .

بلْ يكون من الحكمة أن تبين منه ، ويخرج أمرها من يـده ، لأنه علم أن لا ثقة بالتئامها واقامتهما حدود الله تعالى .

فأن اتفق بعد ذلك أن تزوجت برجل آخر عن رغبة ، واتفق أن طلقها الآخر أو مات عنها ثم رغب فيها الأول واحب أن يتزوج بها ـ وقد علم أنها صـارت فراشا لغيره ـ ورضيت هي بالعودة اليه ، فان الرجاء فى التئامهما واقامتهما حدود الله تعالى ، يكون حينئذ قويا جدا ، ولذلك احلت له بعد العدة .



بين الشريعة والطب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بول الغلام ينضح عليه ، وبول الجارية يغسل » وقال قتادة : هذا ما لم يطعما ، فإن طعما غسل بولهما . رواه الإمام احمد .

الحديث الشريف يفيد ان هناك فرقا فى الحكم بين بول الذكر وبول الأنثى . فهل الطب يؤيد هذا ؟

عبد الحميد رشاد ــ السعودية

يقول الدكتور حسن هويدى :

يتألف بول الآدمي مطلقا ــ من ذكر أو أنثى ــ رضيعا أو غيره ، طعم أو لم يطعم من الماء بنسبة (٥و٩٥٪) ، ومن عناصر اخرى كالبولة وحمض البول ، والنوشادر ، والكلور وغيرها . بنسبة (٥ر٤٪) ، وهذه العناصر لها مقادير طبيعية لا تتعداها فى حال الصحة ، فإذا اختلفت هذه المقادير ، أو دخل على البول عناصر أخرى ، دل على انحراف الصحة ، وكانت تلك العناصر مرضية ، وإذا ثبت أن تركيب البول واحد لدى جميع الآدميين ، وجب أن يكون الحكم الشرعى واحدا وهو الحكم بنجاسته ، وهذا الاستنتاج ينسجم مع اجتهاد الحنفية والمالكية الذى لم يفرق بين الذكر والأنثى فى حال الرضاعة .

وأما الترخيص الشرعى الذى أخذ به الشافعية بالاكتفاء برش الماء على بول الغلام الذى لم يطعم ، والتمييز بينه وبين الجارية فيمكن حمله على أحد الاحتمالات التالية :

١ ــ أنه أمر تعبدى ورد به الشرع ، دون معرفة سر التفريق بين الذكر والأنثى فى هذا الشأن .

٢ ــ أن بول الرضيع الذى لم يطعم تكون كثافته أقل (فى حدودها الدنيا) وبالتالى تكون عناصره المخالطة للماء بنسبة أقل أى فى حدودها الدنيا الطبيعية ، بينما تكون كثافة البول فى حدودها العليا لدى التغذى بالأغذية المختلفة ، مما

يجعل بول الرضيع المعنى قريبا من تركيب الماء في رقته وخفة لونه ورائحته ، ويجعل بول غيره كثيفا شديد اللون والرائحة ، وبهذا الفارق الواضح ، والذى يمكن كشفه بالعين المجردة دون المخبر ، أمكن التفريق والقول بالترخيص بنضحه بالماء دون الاصرار على غسله . أما التفريق بين الذكر والانثى ففى ما يلى :

٣ـ ورد فى بعض الكتب أن اختصاص الرضيع الذكر بذلك لكثرة حمله وائتلاف الناس لذلك ، فكان الاكتفاء بنضح الماء على بوله تسهيلا على الامة كبقية الرخص المشروعة .

٤ ـ أن اختلاف التكوين التشريحى للجهاز التناسلى والبولى بين الذكر والانثى يجعل ثمة فرقا دقيقا فى البول قد يعلل به ورود هذا الترخيص فى الذكر دون الأنثى ، ذلك أن بول الذكر حين ينطلق من قصبة الاحليل ينطلق حرا لا يخالطه شىء آخر ، بينما لا ينطلق بول الأنثى دون أن يجرى على أعضائها التناسلية الظاهرة وثناياها المجاورة التى كثيرا ما تحتوى على الفضلات من حاصلات التعرق والمواد المخاطية والعذرة أحيانا ، فيختلط ذلك بالبول ويغير لونه ورائحته وكثافته ويصعب جدا التفريق بين الحالة التى يحصل فيها التلوث وغيرها ، فكان الاحتراز الشرعى يقضي ببقاء الحكم على الاصل ، فأمر الشارع بالغسل ولم يرخص بشأنها ما رخص بشأن الغلام والله أعلم .

اخطاء في ترتيب صفحات بعض المصاحف

بعث الينا السيد فارس المالكى الرسالة التالية :

طالعت مجلة (حضارة الاسلام) التى تصدر فى دمشق عدد جمادى الاولى سنة ١٣٩٠ هـ في باب قدوة الفكر بيانا بالأخطاء التى وقعت فى ترتيب صفحات احدى نسخ المصحف المطبوع فى دار الجامعة للطباعة والتجليد فى دمشق ، وبيانا آخر باخطاء وقعت فى ترتيب صفحات احد المصاحف المطبوعة على نفقة مكتبة محمد هاشم الكتبى بدمشق .

ونظرا لأن مجلة (الوعى الاسلامى) اوسع المجلات الاسلامية انتشارا واكثرها قراء ارى أن دينى يحتم علي ان ارسل لكم بيان هذه الأخطاء ، وارى ان من واجبكم ان تنشروها ليتنبه اليها كل مسلم تصله هذه المجلة .

الأخطاء التى وقعت فى ترتيب احدى نسخ المصحف المطبوع فى دار الجامعة للطباعة والنشر .

الصفحة ٤٨ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٣ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٣ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٠ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥١ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٦ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٦ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٤٩ من السورة المذكورة .
الصفحة ٤٩ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٤ من السورة المذكورة .

الصفحة ٥٥ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٢ من السورة المذكورة .
الصفحة ٥٢ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦١ من السورة المذكورة .
الصفحة ٦١ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٥٨ من سورة المذكورة .
الصفحة ٥٩ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٤ من السورة المذكورة

ومن سورة النساء .
الصفحة ٦٤ من سورة النساء تعقبها الصفحة ٥٧ من سورة آل عمران .
الصفحة ٥٧ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٢ من سورة آل عمران .
الصفحة ٦٣ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٠ من سورة آل عمران .
الصفحة ٦٠ من سورة آل عمران تعقبها الصفحة ٦٥ من سورة النساء .

الاخطاء التى وقعت فى احدى نسخ المصحف المطبوع على ذمة مكتبة محمد هاشم الكتبى :

صفحة ٥٧٦ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٥ من سورة الأحزاب .
الصفحة ٥٦٥ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٧٨ من سورة فاطر .
الصفحة ٥٧٩ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٨ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٦٨ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٦١ من سورة الأحزاب .
السفحة ٥٦١ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٨٢ من سورة يس .
الصفحة ٥٨٣ من سورة يس تعقبها الصفحة ٥٦٤ من سورة الأحزاب .
الصفحة ٥٦٤ من سورة الأحزاب تعقبها الصفحة ٥٧٣ من سورة سبأ
الصفحة ٥٧٣ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٨٦ من سورة يس .
الصفحة ٥٨٧ من سورة يس تعقبها الصفحة ٥٧٦ من سورة فاطر .
الصفحة ٥٧٦ من سورة فاطر تعقبها الصفحة ٥٦٩ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٦٩ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٩٠ من سورة الصافات .
الصفحة ٥٩١ من سورة الصافات تعقبها الصفحة ٥٧٢ من سورة سبأ .
الصفحة ٥٧٢ من سورة سبأ تعقبها الصفحة ٥٩٣ من سورة الصافات .

الصفحة ٥٩٣ من سورة الصافات وحتى النهاية تتعاقب الصفحات بشكل سليم .

من الواضح أن هذا الترتيب فى صفحات القرآن الكريم يؤدى الى اخطاء فاحشة فى سياق النص القرآنى ، ويلاحظ مما تقدم ان الصفحات ٥٧٧و ٥٨٠و ٥٨١و ٥٨٤و ٥٨٥و ٥٨٨و ٥٨٩و ٥٩٢ لا وجود لها فى هذه النسخة .

الوعى : راجعنا العدد المذكور من المجلة ، فوجدنا فيه بيان هذه الأخطاء وهو مطابق لما جاء فى رسالة الكاتب ننشره على مسئولية المجلة رجاء أن يتنبه اليه القراء مع الشكر لصاحب الرسالة .



شريعتنا الغراء بين التشريعات الحديثه

كتب الاستاذ مختار عبد العليم تحت هذا العنوان يقول :

رزح العالم طويلا تحت الظلم من الملكية الاستبدادية والأرستقراطية المتحكمة حتى جاء الأسلام فتجاوبت الدنيا باصداء صوت جديد يفيض بالرحمة وتنضح منه الحرية والاخاء والمساواة ، وما زال هذا الصوت يدنو من أوروبا حتى جاورها عدة قرون وقرع منها اذانا واعية ، ففهمت منه ان رئيس الدولة ينتخب أو يبايع ويقيد فى تصريف شئون الجماعة بالشورى ولا تستقر فيه حقوق السلطان بصفة اصلية بل باعتباره نائبا عن الامة بدليل أن من ولاهم لا ينعزلون بموته كما ينعزل الوكيل بموت الموكل لان الوكيل الحقيقى هو الأمة وهى باقية ولو مات الامام ، وسمعناه لا يحابى ملكا ولا رسولا ولا يغض الطرف عن الحق اينما كان ويجعل من الامة رقيبا على الوالى بحيث يحقق لها الضرب على يده .

سمعت اوربا هذا واكثر منه فتفاعلت به وتاثرت نظمها بتعاليمه فتصدعت العروش والتيجان واندلع لهيب ثورة حامية الوطيس بين القديم البالى والجديد المستحدث — وانتصر الحق بعد ما قدم العالم ملايين النفوس قربانا لهذا النصر وتأسست مدرسة شريعة الطبيعة والامم واضطلع اساتذتها روسيوس بوفان دورف قابيل بنشر مبادىء العدل بين الناس ثم تلاهم جان جاك روسو وما لبثت اوروبا أن اعلنت حقوق الانسان فى المجنا كارتا والثورة الفرنسية وغيرهما .

واذا انتهى المشرعون المحدثون بعد كثير من المدنيات المتلاحقة الى ان تطبيق التشريع من حيث المكان يجب أن يكون اقليميا لا شخصيا بمعنى ان يكون القانون واحدا والمحكمة واحدة لكل القاطنين فى حدود الدولة غير ناظرين الى الفوارق القومية أو الخلافات العقيدية واصبحت هذه القاعدة المستقرة فى البلاد الغربية بعد أن كان القانون الرومانى يطبق على الرومان فقط .

أما فى بلاد الشرق فلم يأخذ بهذه القاعدة سوى اليابان وتركيا وفارس واذا ذهب هؤلاء المتشرعون الى أن استقرار المعاملات وتنظيم العلاقات وضمان العدالة أمور تقضى فى تطبيق التشريع من حيث الزمان الا يكون له

اثر رجعي خاص فلا يسرى على الماضي واستثنوا منهما ما يتعلق بالنظام العام أو ورد به نص خاص . فان الشريعة الاسلامية قد كانت أول من أرسى هذه القاعدة . واصلها تأصيلا استقر في نفوس اتباعها حكاما ومحكومين فاعتبرت أن التشريع اقليمي لا شخصي وكان ذلك منذ القرن السادس الميلادى قبل تفتح الحضارات فى العالم اذ أن الاسلام وضع النظم لجميع القاطنين في الدولة الاسلامية مسلمين وغير مسلمين وقسم الأرض الى دارين اثنين أولهما دار الأسلام بغض النظر عن السكان وثانيهما دار الحرب وهى ما عدا ذلك .

كذلك سبق الاسلام الى تقرير عدم سريان التشريع على الماضى فقال الكتاب الكريم (عفا الله عما سلف) ويستثنى من ذلك ما يمس النظام العام (فأن تبتم فلكم رؤوس اموالكم) .

وفقهاء الشريعة عندما يستنبطون احكامه يجرون مجرى الفقهاء المحدثين في محيط اوسع ونظرات اتم بعدما سمعوا القرآن الكريم يصدع بالحجة والبرهان (هاتوا برهانكم) (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) . فدائرة القياس ومفهوم المخالفة والبحث عن حكمة التشريع عندنا اوسع فهى من اخصب مصادر التشريع الأسلامى بعكسه عند الغربيين فهم يتحسسون فيه ولا يلجأون اليه الا للضرورة الملحة .

ولعل فى ذلك اجابة للسؤال الخالد الذى يتساءل به الكثيرون : لماذا جاء الاسلام قواعد كلية لا تفصيل فيها بينما الشرائع الأخرى كثيرة النصوص والتفاصيل والافتراضات وهو ايضا يعطينا فى نفس الوقت فكرة عن تفسير التشريع عندهم حين تعارفوا على وجوب الأخذ بالنص الذى يبين قصد الشارع فيه من الألفاظ بصرف النظر عن تقدم المدنيات وتغير الملابسات . أما الشريعة فقد استنبط الفقهاء لكل حادثة حكمها .

ولله در القائل ان هذه الشريعة امتازت بخصائص ثلاث فقد امتدت عرضا حتى شملت جميع الامم (سبحان الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا .) وطولا حتى شملت آماد الزمن (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) وعمقا حتى تناولت جميع النظم (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) .

شهر شعبان

وتحت هذا العنوان يقول الشيخ مشهور ضامن :

روى أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : (قلت يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان فقال الرسول ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال لرب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم) (رواه النسائى) .

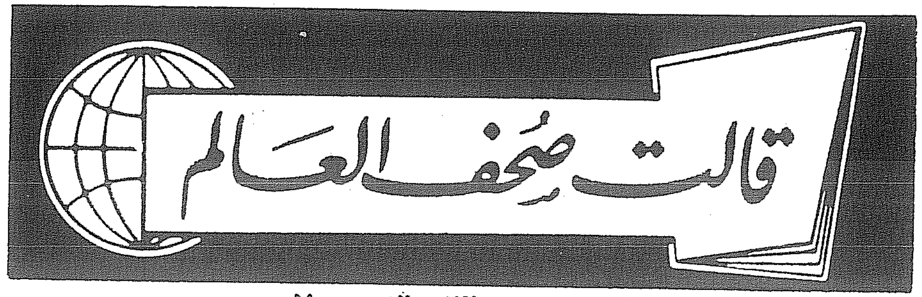
ان شهر شعبان يفصل بين رجب ورمضان ورجب شهر معظم فى الجاهلية والاسلام بتحريم القتال فيه ، ووقوع حوادث تاريخية لها أثرها البليغ فى نشر الدعوة الاسلامية كحادث الاسراء والمعراج . ورمضان شهر فرض فيه الصيام ، وأنزل فيه القرآن ، ومجيء شعبان بين شهرين بهذه المكانة مدعاة للتهاون فيه ، وعدم القيام بالطاعات والعبادات ، وانطلاق

نزعات النفس وشهواتها ، فذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتعظيم هذا الشهر وبين أن الانسان لا ينبغى أن يغفل عما يرضى الله فى كل زمان وحين ، وارشد أن أبلغ ما يعيد اليه الذكرى التى تنفعه وتكبح جماح نفسه ويهذبه هو الصيام تهيئة لاستقبال رمضان ، وتذكيرا بأن هذا الشهر ترفع فيه الأعمال الى رب العالمين ، ويحب أن يرفع عمله وهو صائم .

ولا ريب أن فى هذا الارشاد والتذكير ما يحمل الانسان على الطاعة وعمل الصالحات ويبعده عن السيئات ويبين سر عناية النبى عليه الصلاة والسلام بالصوم فى شهر شعبان الأمر الذى يدعوه للأخذ بأسباب الخير والهدى والرشاد ليعد نفسه للفيض الالهى العظيم .

وقد صحت الأحاديث بفضل شهر شعبان كله وطلب الاكثار فيه من الصوم ، من ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ قال : شعبان) رواه الترمذى، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان) رواه الشيخان وابو داود .

أرجو ونحن فى ظلال شهر شعبان ان نذكر هذه الحكم والعظات ، ونقتبس من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة لعمل الصالحات ، والانتفاع بالذكريات ، وان نقرن مع احياء هذه الأيام بالعبادات ذكرى القبلة الأولى وثالث الحرمين الشريفين ، ذكرى الوطن المقدس الذى اتجه الى حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحافظوا على كرامته وقداسته ، ونكون حراسا أمناء لننقذه من ويلاته ونكباته .



شبهات فى وجه الفكر الاســـلامى

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الدراسات الاسلامية مقالا جاء فيه :

ان هناك العديد من الشــبهات ، التى يكتبها الباحثون الغربيون ، عن الفكر الاسلامى تحتاج الى توضيح وتصحيح .

وليس معنى هذا اننا ننكر فضل الفكر الغربى على الفكر الانسانى .

وليس معنى هذا اننا نشجب الفكر الانسانى جملة ، بل على العكس من ذلك ، نحن نؤمن بعظمة المعرفة الانسانية ونذكر روائع الفكر العالمى والانسانى فى مجال دفع الانســانية الى الأمام ، واعلاء القيم الكبرى ــ كالحرية والاخاء والبطولة ، والاستشهاد فى سبيل العلم والكشف .

ولكننا ننكر من الفكر الغربى محاولة اذلالنا وتحطيم مقوماتنا ، فى ســبيل تركيز النفوذ الأجنبى وادامة السيطرة على العالم الاسلامى .

ونحن ننكر من الفكر الغربى ، عقوقه للقيم الانسانية واستعلاء الانسان الابيض فى غرور ، وتطبيق نظرية قوامهــا التفرقة العنصرية ، تلك التى تقول ان ما سوى الغرب عبيد .

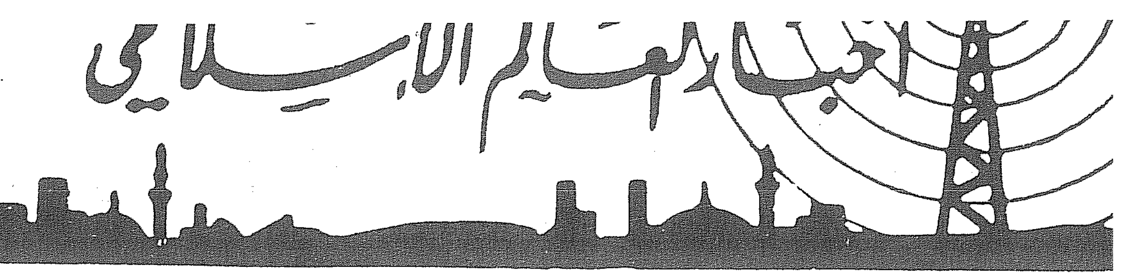
كما نقاوم نظريات الالحاد والاباحــة ، والمادية واذلال القيم الانســانية للانسان ، وانكار الغرب لقيم الدين والاخلاق .

ونحن من ناحية اخرى ، نؤمن بأن فكرنا العربى الاسلامى ، قادر على ان يعطى الانسانية زادا ونورا وضياء ، خاصة فى هذه المرحلة التى نما عليها عقل الانسانية ، وتمجيد ضميرها وروحها .

ومن هنا تبدو حاجة الانسانية الى جوهر فكرنا وعصارة قيمنا ، هذا الفكر الذى يرسم للانسانية طريقا جديدا ويحل مشكلات النفس والمجتمع ، والسياسة والاقتصاد ، فى ذلك المزيج الرائع بين الروح والمادة ، والعقل والوجدان والعلم والدين والدنيا والاخرة .

واعتقد ان رسالة المفكر المسلم فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة الأمــة العربية والعالم الاسلامى أن يكشف فى يقظة ووعى ، كل الشبهات التى يرددها النفوذ الاجنبى ، والتبعية الثقافية ، وحملات الغزو والتغريب الفكرى .

ونحن نعلم تماما ، ان الاستعمار والصهيونية ، والالحاد ما تزال هى القوى الثلاث التى تحاول أن تعيد العالم الاسلامى مرة أخرى الى مجال الســيطرة وذلك بالقضاء ، على مقوماته واشاعة الشكوك والاتهامات والدعوات الهدامة



اعداد : ع . ب .

الكويت : اذاع سمو الأمير المعظم حديثا بمناسبة اليوم العالمى لمحو الأمية ،جاء فيه : اننا لن ندخر وسعا فى العمل على محو الأمية بجميع اشكالها .

● وافق مجلس الوزراء على تقديم مساعدة مالية قيمتها (٢٠) عشرون ألف دينار لتدعيم النشاط التربوى فى الجمهورية اليمنية .

● قرر مجلس الوزراء التبرع بمبلغ (٥٠٠٠) خمسة آلاف دينار كويتى للقيام ببناء مسجد ومركز اسلامى وملحقاته فى السنغال .

● زار معالى وزير الخارجية موريتانيا فى الشهر الماضى تلبية لدعوة من حكومتها ، وقد أجرى معاليه مع المسئولين فى موريتانيا مباحثات استهدفت توثيق العلاقات بين البلدين المسلمين .

● تبرعت الكويت بمبلغ (٢٥) ألف دينار ومواد طبية قيمتها ١٠ آلاف دينار لمنكوبى الفيضانات فى باكستان .

● قررت وزارة التربية فصل مادة التربية الدينية عن مادة اللغة العربية وانشاء تفتيش خاص لها بالوزارة للتربية الاسلامية .

● احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الاسراء والمعراج فى مسجد السوق الكبير .

● عقد فى الشهر الماضى اتفاق ثقافى بين الكويت والأردن يقضى بتبادل الخبرات وتقريب المناهج التعليمية تمهيدا لتوحيد كافة المناهج العربية فى المستقبل .

القاهرة : زار القاهرة فى الشهر الماضى كل من الرئيس الموريتانى والرئيس النيجيرى لتقوية العلاقات بين كل من مصر وموريتانيا ونيجيريا .

● استقبل فضيلة شيخ الأزهر مدير كلية الدراسات الاسلامية بالسودان حيث تعرف على أعضاء البعثة الأزهرية التى طلبتها الكلية السودانية من الأزهر .

● عقد بالقاهرة فى أواخر الشهر الماضى مؤتمر العلوم والثقافة والتربية العربى ، وقد حضر المؤتمر وفود من الدول العربية حيث ناقشوا الأمور المتعلقة بالثقافة والتربية .

● قام فضيلة شيخ الأزهر فى أوائل الشهر الماضى بزيارة المسلمين فى الجمهوريات السوفيتية لمدة خمسة عشر يوما ضمن رحلة فى بعض البلدان الاسلامية لشرح القضية العربية للرأى العام الاسلامى .

السعودية : وجه الملك فيصل نداء فى الشهر الماضى ناشد فيه قادة المسلمين وشعوبهم أن يهبوا لتحرير القدس ، ودعا جلالته الى عقد مؤتمر قمة اسلامى .

● زار وفد اقتصادى سعودى جمهورية اليمن لاستكمال مباحثات التعاون الاقتصادى بين البلدين ، ويشمل التعاون دعما ماليا سعوديا لليمن ، وانشاء

فى جوانبه حتى تحول بين شعوب هذا العالم ، من الالتقاء على (وحدة الفكر) هذه الوحده ، التى هى الاســـاس العميق المدى فى بناء الوحدة الســـياسـية والاقتصادية ، وقيام الجبهة الموحدة القادرة على العمل والبناء .

وعلينا ان لا نوقف رسالة كشف الشبهات ودحض المفتريات ، فان الحملة على الاسلام واللغة العربية والتاريخ ، والتراث العربى والاسلامى ، لا تتوقف وهى تتجدد بين كل حين وآخر ، نقطة تثار من هنا ونقطة تثار من هناك ، وكأن ليس بيننا ارتباط ، ثم يعودون لاثارتها من زوايا اخرى وبأقلام اخرى .

الصحافة ســـــلاح ....

وتقول صحيفة الرائد تحت هذا العنوان ،

فى هذه الفترة من التاريخ التى اضفت على العالم البشرى قداسة العلم ، وصبغت حياة الانسان بالصبغة المادية العلمية ، وجعلت المجتمع البشرى يعتمد على الطاقات الكونية اكثر منه على خالقها العظيم ، فى هذه الفترة تضـاعفت مسئوليات الدعاة والقادة الاسلاميين وتحتم عليهم فى كل مجال ان يثبتوا تفوق الدين الاسلامى على كل تقدم علمى وخلود الرســـالة الاســـلامية على رغم كل الخوارق العلمية ، والابداعات المادية المدهشة .

ولا شك فان المسلمين وعلى رأسهم دعاة الاسلام المخلصون اســـتفادوا من جميع هذه الاكتشــــافات والاختراعات فى مجال دعم الحـــركة الاسلامية وتوطيد اركان الدعوة واستدلوا بها على خلود رسالة الاسلام ومســـايرتها مع الطبيعة العلمية والانسانية فى كل زمان ومكان ، والحقيقة ان ذلك كان مدعاة الى توسيع نشاطهم ومددا كبيرا فى اقناع الطبقة التى كانت تبحث عن الضوء بعدما طال تيهها فى دياجير الحياة ومحالك المادة .

ولم تكتف الفئة المؤمنة بسلاح واحد فى مواجهة هذا التيار الضخم وانما اخترعت أنواعا عديدة من الاسلحة تســـتعمل فى كل جهة وعلى كل ثغرة ، ومن بينها الصـــحافة والكتابة التى لعبت دورا هاما فى كسب المعركة العلمية على الدوام ، وكان لها تأثير عميق واسع فى المعارك الفكرية والنظرية ، وتأييد الحق على الباطل . ولـــكن بتأثير النظريات المادية الخالصة — وجد هناك نوع من الصحافة والكتابة يسعى فى نشر كل هزيل من الافكار وبشكل مريض من الآراء ، وبكلمة اخرى أسس هذا النوع من الصـــحافة والكتابة لمحاربة كل فضـــيلة ، ومساندة كل رذيلة .

فليحرص كتابنا ودعاتنا على مقاومة هذه الصـــحافة الخليعـــة المأجورة والكتابات المحترفة الاثيمـــة بالصحافة السليمة المخلصة ، والكتابات الهادفة النزيهة ، وليســـاهم كل كاتب وكل صـــحفى من المسلمين فى هذه المعركة بكل ما أوتى من امكانيات ووسائل وليؤد كل منهم واجبه فى نطاقه وحسب طاقاته ، (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .

شركة سعودية يمنية للبترول ومصفاة ، كما يشمل انشاء بنك سعودى فى الحديدة وصنعاء .

● تم التوقيع على اتفاقية للنقل الجوى بين السعودية وجمهورية اليمن فى نطاق تدعيم العلاقات بين البلدين .

سوريا : عقد فى الشهر الماضى مؤتمر طارىء لوزراء الصحة فى سوريا ولبنان والأردن والعراق والكويت لبحث وتوحيد الاجراءات الوقائية لمكافحة وباء الكوليرا .

لبنان : انتخب الرئيس اللبنانى السيد سليمان فرنجية رئيسا للجمهورية .

● تم انشاء يونسكو عربية من جميع الدول العربية مهمتها العمل على توحيد المناهج التعليمية فى العالم العربى .

ليبيا : تبرعت ليبيا بمبلغ مليون جنيه ليبى للمساهمة فى التخفيف عن الجمهورية اليمنية من آثار الجفاف .

الجزائر : عقد فى مدينة قسنطينة المؤتمر الرابع للفكر الاسلامى الذى اشترك فيه لمدة تسعة أيام من الشهر الماضى أساتذة ومفكرون من العالم العربى ، وقد ناقشوا دور الاسلام والحياة .

موريتانيا : عقدت بين موريتانيا والجزائر اتفاقية للتعاون الثقافى والعلمى والاقتصادى ، وستشكل لجنة على مستوى وزارى بين البلدين لمتابعة تنفيذ الاتفاقية .

باكستان : اجتاحت الفيضانات فى الشهر الماضى شرق باكستان وشملت منطقة مساحتها ٥٥ الف ميل مربع ، وقد تضرر من هذه الفيضانات حوالى ٣ ملايين شخص .

ايران : قام وفد صحفى واعلامى ايرانى بزيارات متتالية فى الشهر الماضى الى الكويت وامارات الخليج العربى .

اندونيسيا : عقدت المنظمة الاسلامية الآسيوية الافريقية أول مؤتمر لها فى ٢١ — ٢٧ سبتمبر الماضى ، وقد حضره أكثر من ممثلين لأربعين دولة اسلامية .

ماليزيا : احتفلت ماليزيا فى أواخر الشهر الماضى بعيدها الوطنى .

● دعا تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء ماليزيا وأمين عام الأمانة الاسلامية الى اجتماع لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، وقال ان احد اغراض الأمانة الاسلامية تحقيق التعاون وتقديم المعونة فى حالة حدوث كارثة لأية دولة اسلامية .

● تقرر تشكيل منظمة ماليزية فلسطينية تكون مهمتها تفهيم القضية الفلسطينية للشعب الماليزى وتقديم العون المادى والمعنوى للفدائيين الفلسطينيين .

اخبار متفرقة :

نيويورك : بدات الجالية الاسلامية فى نيويورك فى انشاء مركز اسلامى ومكتبة ومسجد للمسلمين .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب (٢٠٤٣)

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ السيد محمد سعيد بابيضان

بغداد : المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيذ فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

حضرموت : مكتبة الشعب ــ ص.ب (٢٨) المكلا .

دبى : مكتبة دار الحياة ص. ب ١٨٨٤ .

مسقط : المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ــ بيروت ــ ص.ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة الوطنية ــ السيد أحمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب ــ ص.ب (١٣٢) ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب (٢٨٠) ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص.ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

... المرزوق الصحفية — الكويت